الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة

جامعة العربي التبسي - تبسة-
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

# ملامح أدب الرحلة في الرواية الجزائرية

## رواية "مأوى جان دولان" لعمر بن قينة – أنموذجا –

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي (ل م د)
تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبين:
- سفيان عبد المالك
- اسمهان لاغة

إشراف الدكتور:
- عادل بوديار

لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الرتبة العلمية | الصفـــــــــــــة |
|---|---|---|
| رضـا زواري | أستاذ مساعد – أ | رئيســـــا |
| عادل بوديار | أستاذ محاضر – أ | مشرفـا ومقررا |
| هاشمي قاسمية | أستاذ محاضر – ب | عضـوا ممتحنـا |

السنة الجامعية: 2018/2017

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا
عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

سورة البقرة

الآية 32

# أقوال مأثورة

إن السفر

كنز العبر

فارحل ترى الآفاق أبهج منظرا

وترى الربيع البكر يرتاد القرى

وسنا الشباب بنبض روحك قد سرى

محمد الحسناوي

أَخي لَن تَنالَ العِلمَ إِلّا بِستَّةٍ  سَأُنبيكَ عَن تفصيلِها ببَيانِ

ذَكاءٌ وَحِرصٌ وَاِجتِهادٌ وَبُلغَةٌ  وَصُحبَةُ أُستاذٍ وَطولُ زَمانِ

الإمام الشافعي

# شكر وعرفان

بعد رحلة البحث والجهد واجتهاد تكللت بانجاز هذا البحث، نحمد الله عزّ وجل على نعمه التي مهّ بها علينا فهو العلي القدير، كما لا يسعّنا إلا أن نخصّ بأسمى عبارات الشكر والتقدير للأستاذ الدّكتور "**عادل بودبار**" لما قدّمه لنا مه جهد ونصح ومعرفة طيلة إنجاز هذا البحث

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكلّ مه ساهم في تقديم يد العون لإنجاز هذا البحث، ونخص بالذكر أساتذتنا الكرام والأساتذة القائمين على عمادة وإدارة كلية الآداب واللغات بجامعة العربي التبسي.

إلى الذيه كانوا عونا لنا في بحثنا هذا ونورا يضيء الظلمة التي تقف في طريقنا.

إلى مه زرعوا التفاؤل في دربنا وقدّموا لنا المساعدات والتسهيلات والمعلومات،

فلهم منّا كل الشكر.

# إهداء

ها هي اللحظات تمر بسرعة وأنا معها أمضي أيضا....

وكلي ثقة بأنه لم يتبقى لي إلا القليل حتى يتسنى لي الفخر بذاتي

فخرا على فخر

أبي أيها الرجل الذي وهبني الحياة

والذي لولاه لما وجدت ولما كنت هنا أقف محتفلة بتخرّجي بشهادة الماستر.....إرفع رأسك عاليا أبي فابنتك اليوم تخرّجت.

أمّي يا قطعة من القلب تخفق داخلي، فرحتك عارمة ذلك كفرحتي تماما....

حفظك الله لي .... إفخري بابنتك فاليوم يا أمّاه صرت ابنتك الجامعية الخرّيجة... أحبّك

إخوتي أخواتي صديقاتي ... لكم من القلب أعظم تحية... أنتم أيضا شاركتم بقوة في مسيرتي هذه. وكانت لكم بصمة...

شكرا لوقوفكم بجانبي ودعمكم ... دمتم ودام ودّكم لي ...

يا نفسي أنا ... بالتوفيق ومبارك أيضا.

لاغة اسمهان

# إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ سورة التوبة (الآية 105)

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك...ولا يطيب النهار إلا بطاعتك...ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك... ولا تطيب الجنّة إلا برؤيتك.

﴿الله عزل وجل﴾

إلى من بلّغ الرسالة وأدى الأمانة .... ونصح الأمة ... إلى نبي الرحمة ونور العالمين

﴿سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم﴾

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار.... إلى من علّمني العطاء دون انتظار ...

إلى من أحمله اسمه بكلّ افتخار .... أرجو من الله أن يمدّ في عمرك ....

لترى ثمارا قد حان قطافها ... بعد طول انتظار ستبقى كلماتك نجوما أهتدي بها اليوم وفي الغد

﴿والدي العزيز﴾

إلى ملاكي في الحياة ... إلى معنى الحب ... وإلى معنى الحنان والتفاني

إلى بسمة الحياة وسر الوجود .

إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى الغالية

﴿أمّي الحبيبة﴾

﴿إلى روح جدتي الطاهرة رحمها الله﴾

إلى الإخوة والأخوات ... إلى من تحلّو بالإخاء وتميزوا بالوفاء... إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت... إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير... إلى من عرفت كيف أجدهم أن لا أضيعهم .

﴿عائلتي وأصدقائي ... دمتم خير أوفياء﴾

عبد المالك سفيان

# مُقَدِّمَةٌ

تشبع الفضاء الأدبي بالعديد من الأجناس الأدبية التي اختصت بالأثر الأدبي لكل نص (شعر، قصة، رواية)،و نذكر أدب الرحلات الذي شغل اهتمام الدارسين والباحثين والنقاد والروائيين، وقد اهتموا به على أساس أنه حديث النشأة، ثم ليكون منهج كل رحالة سواء من جانب محلي أو من جانب عالمي، وقد عكس صورته وترك أثرا ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، ثم جاء ابن بطوطة بالخريطة رمزا مؤشرا لرحلاته المتعددة التي أسست لانطلاقة جديدة في أدب الرحلة، لتصبح أهم العناصر بالأدب المقارن الذي يختص بدراسة علاقات التأثير والتأثر، ثم التلاقي التاريخي بين الآداب العالمية والتلامس الموجود بين الثقافات الأخرى ليصبح مصطلحا يطلق عليه أدب الرحلات .

احتل أدب الرحلات مكانة خاصة في الثقافات العربية، لذا ذهب معظم الباحثين العرب الذين اعتكفوا دراسته إلى الاهتمام به أكثر في مؤلفاتهم ليحتل كل كتب النقد و الأدب، وبهذا الصدد نذكر شوقي ضيف في كتابه الرحلات وفؤاد قنديل في كتابه أدب الرحلة في التراث العربي، وقد وضعوا الأسس البدائية لما يدور حول جنس أدب الرحلة وتعامله مع الثقافات الأخرى التي حققت أكبر قدر ممكن ومست الملامح الروائية خاصة الفكر الجزائري أمثال واسيني الأعرج وعمر بن قينة، وغيرهم من الروائيين الذين أضافوا حلة جديدة إلى الرواية العربية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة، وذلك بإضفاء هذا الجنس الأدبي للرواية العربية .

وقد أضافت هذه الإطلالة مسعى كبيرا وراء كل روائي أو كاتب رحلاتي، لتعزز بذلك المحيط وما يسعه من جماليات روائية متنوعة، كل هذه المعطيات قد تخلق كما كبيرا من التساؤلات:

- فيم تمثلت ملامح البدايات الأولى لأدب الرحلة في الرواية العربية؟

ومن هذا التساؤل تتفرع لدينا مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما المقصود بالرحلة؟ وهل للرحلة علاقة بالأدب العربي؟
- وما هو الرابط بين أدب الرحلة ومختلف الأجناس الأدبية الأخرى؟
- وفيم تتجلى أهم الملامح الفنية المتعلقة بأدب الرحلة من خلال النص الروائي؟

وللإجابة على هذه الأسئلة وغيرها اخترنا عنوانا لهذا البحث الموسوم بـ: **ملامح أدب الرحلة في الرواية الجزائرية رواية "مأوى جان دولان" أنموذجا**، لذلك عمدنا إبراز ذلك التناغم بين الأدب والرحلة في عمل أدبي اخترناه لعدة أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، أما الذاتية فتتمثل في ميولنا نحو هذا

النوع الفني، والرغبة في التعرف على الآخر من خلال النص الرحلي الروائي، وأما من الناحية الموضوعية فتتجسد في بساطة اللغة الروائية وسهولة فهمها، والاستعمال الجيد للأسلوب وتوظيف الوصف إضافة إلى إيصال الرسالة المقصودة للمجتمعات والثقافات الأخرى.

وتتلخص خطة هذا العمل في مقدمة ومدخل تمهيدي تناولنا فيه مفهوم الرحلة وقيمتها علميا وأدبيا، ثم انتقلنا للإشارة إلى أشهر الرحلات العربية وذكر أشهر الرحالة العرب، وعالج الفصل الأول المعنون بأدب الرحلة في المغرب، فن الرحلة عند المغاربة من خلال مجموعة عناصر وهي أنواع الرحلة وخصائصها، وأبرز المجالات التي وصفها الرحالة، ثم انتقلنا إلى الرحلة في العصر الحديث والتي تضمنت علاقة أدب الرحلة بالرواية والرحلة بوصفها جنسا أدبيا، ثم مررنا إلى أدبية الرحلة، واختتم الفصل الأول عناصره بتداخل الأجناس الأدبية في الرواية الجزائرية المعاصرة والذي ضم تشاكل الأجناس الأدبية، ثم مررنا إلى الرحلة بوصفها خطابا أدبيا، لننتقل إلى عنصري الرحلة والسرد، مبرزين أنواع الرحالة العرب والمغاربة وأحوالهم وأخبارهم.

واختص الفصل الثاني (التطبيقي) بملامح أدب الرحلة في رواية "مأوى جان دولان" لعمـر بـن قينة، وتناول عدة عناصر في الملامح العامة للرواية لتشمل المعرفة والاختبار والوصف والمتعة، أما العنصر الثاني تطرقنا فيه إلى رحلة الأنا إلى أوروبا (فرنسا) درسنا فيه الآخر في الرواية، وإعجاب الأنا بالآخر، أما العنصر الثالث المعنون بالملامح الفنية، وفيه تعرضنا إلى لغة الحوار بين الشخصيات الروائية إضافة لعنصري المكان والزمن.

اعتمدنا في دراستنا على المنهج السيميائي لكونه يتلائم مع طبيعـة موضـوعنا، بالإضافة إلى الاستعانة بآلية التحليل الوصفي.

وقد استندنا في بحثنا على جملة من المصادر والمراجع نذكر منها:

- حسين نصار: أدبيات أدب الرحلة .
- شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي.
- سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري.
- سعيد يقطين: السرد العربي.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا قلة المراجع بالمكتبة الجامعية وضيق الوقت المخصص لإنجاز هذا البحث وتشابه المعلومات في الكتب.

وفي الأخير نتوجه بالشكر الخاص للأستاذ المشرف د.عادل بوديار، ثم امتناننا لكل من قدم لنا يدي العون لإتمام هذا العمل، والتوفيق من الله تعالى، كما نتقدم بالشكر الجزيل للجنة المناقشة التي تداولت هذا البحث، وكان لنا شرف الاستفادة من الملاحظات التي ستنير جوانب معتمة من هذا البحث.

# مدخل

# أدب الرحلة عند العرب

تمهيـ ـ ـد

أدب الرحلات من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب منذ القدم "وقد عرفته قبل العرب أمم أخرى كالفراعنة والفينقيين والرومان والإغريق، ثم جاء الرحالة العرب الذي جابوا الآفاق، فاشتهر منهم كثيرون مشرقا ومغربا أمثال"ابن جبير" و "ابن بطوطة" والإدريسي" وغيرهم ممن نقلوا إلينا مشاهد من العصور السابقة من خلال رحلاتهم، وقد اعترف كثير من الباحثين الأجانب بفضل الرحالة العرب، ونوّهوا بقيمة رحلاتهم من حيث مادتها وأسلوبها وطريقة عرضها".[1]

مما أن السابقين تناولوا الرحلة ولم يركزوا عليها، فإن العرب مارسوا الرحلة ودونوها وأعطوها قيمتها في أسلوبها وطريقة عرضهم لها.

## 1- مفهوم الرحلة:

### أ- لغة:

جاء في قطر المحيط للمعلم بطرس البستاني مادة [رَ حَ ل] في معناها "رحل عن البلد يرحل ، رَحْلاً ورحيلا وترْحَالاً (...) ورحل إلى المكان انتقل(...)، الرحال صانع الرِحال والعالم بها المجيد، والرِّحلة بالكسرة الارتحال، وبالضم الوجه الذي يقصده الرّاحل"[2]، فالرِّحلة هي الانتقال والارتحال.

و في معجم الوسيط "الرَّحالة: الكثير الرِّحلة (..) الرَّحلـة: ما يُرتحل إليه، يقال: الكعبة رُحلة المسلمين وأنتم رُحلتي، وعالم رُحلة: يُرحل إليه من الآفاق"[3]، وعند ابن منظور (ت 711هـ) "رحل الرجل: إذا سار ، (...) وقوم رُحَّل: أي يرتحلون كثيرا، ورجل رحَّال: عالم بذلك ومجيد له".[4]

---

[1] - عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ط1، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 2009، ص55.

[2] - بطرس البستاني، قطر المحيط قاموس لغوي ميسر، ط2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1995، ص207.

[3] - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر، 1960، ص335.

[4] - جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تح: لجنة من الأساتذة، د ط، دار المعارف، القاهرة، مصر،د ت، ج1، (مادة: رَحَ لَ) ص1608.

وجاء في المنجد في اللغة العربية المعاصرة"رِحلة ج رِحَل ورِحلات ، إرْتحال : انتقال من مكان إلى آخر "رحلة الشتاء والصيف" اللتين كانت قريش تقوم بهما من أجل التجارة"[1]، كما أشار لهذا المعنى القرآن الكريم: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ(١) إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ (٢) ﴾ [سورة قريش الآيتين 01-02] .

و عليه فالمقصود بالرِحلة هو الانتقال من مكان إلى آخر، وجاءت بمعنى السير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه، كل هذه المعاني تدل على حركة الإنسان لبلوغ المنافع التي يسعى إليها في مختلف مجالات حياته.

## ب- اصطلاحا:

الرحلة في الاصطلاح هي الحركة و التنقل، فقد خلق الله الإنسان محبّا لهذه الصفة، وأمدّه بالعقل الذي يدعوه لذلك والجسم القوي الرشيق الذي يعينه على الانتقال من موضع لآخر، بحثا عن "الفوائد التي يجنيها الإنسان من وراء الرحلة"[2]، كانت فائدة الرحلات قوية، إذ وجد الإنسان العديد من المحاسن والمساوئ في الطرف الآخر، فاكتشف أشياء وتعلق بها، والباقي منها أهملها.

"فالحركة روح الحياة، باعتبارها سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان وقد هيأه الله لها، وجعلها إمكانية ضرورية لتعمير الأرض وعبادة الله تعالى".[3]

الرحلة انتقال حقيقي أو خيالي نحو أماكن بعيدة، قصد كشف حقيقة بعض الأشياء، ومعاشرة معظم الأجناس البشرية والتعرّف على طبائعهم والنهل من محاسنهم والتعلّم منهم، فالإنسان سواء كان صاحب خبرة في الحياة إلا أنّه يحب معرفة الآخر رغبة في الاستفادة منه أو تكملة لنقص فيه أو مشاطرة له.

والرحلة عموما هي"السّفر الذي يتوخى من ورائه الإطلاع على الآفاق الجديدة من المناطق المجهولة، وقد يصل الأمر بصاحبها إلى تسجيل أهم ما يتعلّق بها من تقارير لتصبح وثيقة تاريخية

---

[1] - لويس معلوف الياسوعي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1908، ص539.

[2] - سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، د ط، دار الهدى، عين مليلة،الجزائر،2009،ص20

[3] - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 2002، ص17.

وجغرافية لما بعد ذلك ... والرحالة في الأساس يمكن أن يكون مكتشفا، أو مغامرا، أو عالما، أو رجل دين، أو تاجرًا، وتبعًا لهذا فهو يتحرّك لدوافع سياسية أو اقتصادية أو علمية أو دينية"[1]، وانتقل معظم الرّحالة قديما وحديثا في شتى أنحاء العالم، فمنهم من ركب بعيرا ومنهم من امتطى حصانا ومنهم من ركب قطارا أو باخرة،كل سافر بوسيلة تشبه أو تختلف عن غيره، يتحمّل المشاق والصعاب ويصوّر لنا مختلف نواحي الحياة، فكان غرض كل رحّالة واضحا منذ بداية خوض رحلته، فحاجته إلى الرّحلة كانت سببا أساسيا لذلك، فمنهم من قصد بيت الله، ومنهم من خرج من أجل الرزق والتجارة أو العلاج وغيرها من الدوافع،"فالرحلة قديمة قدم الإنسان ذاته إذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هذا ".[2]

لقد مهدت رحلة آدم وحوّاء من السماء نزولا إلى الأرض إلى بداية رحلة الإنسان، وتحمّل المشاق والصّعاب والبحث عن سبل العيش، فبدأ العرب مسيرهم في التجوال ودحض الأمور وتبيان العلل والمصاعب التي تحلّ بهم أثناء سيرهم وخطورة تنقلهم، وتكافلهم مع بعضهم البعض وقد " رسّخت كل العوامل والمفاهيم التي بنيت عليها مسألة وحدة البشر على الأرض، بل لقد فجّرت في الإنسان استشعار المصالح المشتركة التي وثّقت هذه الوحدة على الأرض".[3]

## 2- قيمة الرحلة علميا وأدبيا:

"اكتسبت الرحلات قيمتان عظيمتان هما: قيمة علمية وأخرى أدبية، أمّا القيمة العلمية، فقد تأتّت لها ممّا تحويه معظم هذه الرّحلات من كثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها مما يدوّنه الرّحالة"[4]، جاءت هذه القيمة ملمّة بمختلف مجالات الحياة، فاهتمت بوصف المدن وأحوال البشر وكيفية تعاملاتهم مع الآخر وتجارتهم وأرباحهم، كل هذه النواحي كانت جليّة لأن أول نبي حقق هذه الرحلة العلمية هو سيدنا موسى عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) ﴾ [سورة الكهف، الآية

---

[1] - علوي المداني عمر وآخرون، أدب الرحلة والتواصل الحضاري، سلسلة ندوات جامعة المولى إسماعيل، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، 1993،ص13.

[2] - حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، مجلة عالم المعرفة، يناير1978، ع138، الكويت، ص15.

[3] - المرجع نفسه، ص18.

[4] - حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1993، ص06.

66]، وبناءا عليه من خلال الآية السابقة نستنتج أن السّعي وراء طلب العلم و الحث على الدّين مقصد كلّ إنسان و وجوب الرّحلة لتحصيل المزيد من المعارف.

لقد صوّر لنا الرّحالة، مختلف ما مرّوا به من مدن وطرقات، وأبدعوا في تصوير الحقائق والمشاهد حسب أساليبهم، فمنهم من بالغ وضخّم الأشياء، ومنهم من بسّطها، وقد "قدّم الرّحالون العرب على مرّ العصور خدمات جليّة في بيان أحوال البلاد العربية والإسلامية في مختلف نواحيها، و لم تقتصر إفادتهم في المجال على البلاد الإسلامية وحدها، وإنّما تعدّوها في رحلاتهم وأخبارهم إلى بلاد أجنبية أخرى آسيا وأفريقيا، وفي أوروبا فيما بعد، و لم يصلها الإسلام، فرسموا صورة من الدّرجة الأولى خصوصا إذا قورنت هذه المعلومات بما كان يعرفه العالم عنها في العصور الوسطى، حتى الكشوف الجغرافية المتأخرة لدى الأوروبيين".[1]

و لم يختص الرّحالة بوصف أماكن المسلمين فقط، بل تجاوزوها إلى أماكن لم يصلها الإسلام **بعد** وما زالت تعيش في الظلمات رغم مواكبتها للعصرنة والتطوّر.

"ولعل أبرز دور قامت به الرّحلة في العالم العربي هو الخدمة الكبرى التي قدّمتها لعلم الجغرافيا، فقد كان الرّحالة في وصفه للمسالك والممالك معيّنا للجغرافي، الذي اتصل بالظواهر الجغرافية والطبيعية اتصالا مباشرا، فرأى وسمع كما أنّه كان ذا نفع للمؤرخ ولعالم الاجتماع وللأديب والفلكي والفيلسوف والسياسي والاقتصادي»[2]، فكان الرّحال لسان ناطق وقلم كاتب لشعبه وبقيّة الشعوب الأخرى، رسم لنا كلّ ما شاهده وسمعه، بطريقته الخاصّة، قرّب لنا المدن عن طريق الوصف وعايشنا معه اللحظة.

«وأمّا القيمة الأدبية في الرّحلات تتجلى في ما تعرِضُ فيه موادها من أساليب ترتقي بها إلى عالم الأدب، وترقى بها مستوى الخيال الفنّي، وبالرّغم ممّا يتسم به أدب الرّحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار و الوصف وغيره، فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصية المعتمدة على السرد المشوّق بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى».[3]

---

[1] - حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص08.

[2] - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص23.

[3] - المرجع نفسه، ص08- 09.

واعتمد الرّحالة على أساليب عديدة في إيصال أفكارهم لنا، فلجؤوا إلى وصف الأماكن وسردها بطريقة مشوقة ومحبّبة وقريبة من النّفوس، وجسّدوها بطريقة فنّية جميلة، وتميّز أدب الرحلة بالسّمة القصصية، واعتماده على السّرد وأساليب القص، مما جعل منه أدبا فنّيا مميّزا يؤثر في قارئه ويثير دهشته إزاء سرد الأحداث.

هذا ما أدّى بشوقي ضيف إلى اعتبار أدب الرّحلة عند العرب«خير ردّ على التهمة التي طالما أتهم الأدب العربي، تهمة قصوره في فن القصة»[1].

فالقصص أو الروايات التي تخلوا من جانب الغموض أو التخييل، تبدو لنا غير مشوقة وتفتقر للروح الإبداعية، فتظهر على شكل سرد وقائعي حقيقي للأحداث دون زيادة، وهذا ما يعيبها أحيانًا.

«إذ نجد أن السمة الغالبة على أدب وفن الرحلة هي السمة القصصية ولهذا توضع ضمن التراث القصصي العربي في بداياته، ولا يعني ذلك أن نقول على كاتبها قصاصًا أو روائيًا، لأن القصّ والرواية هنا مجرد وسيلة وتقنية لتوصيل المعلومات المتاحة بين دفتي الكتاب أو الرحلة سواء أكانت في الفلك أو التنجيم أو الجغرافيا أو التاريخ، أو مشاهدات يرويها الجغرافيين عن أنفسهم أو عن الرّحالة وما أبصروا في الممالك القريبة و البعيدة...»[2] ويتسم أدب الرحلة بميزة القصّ وهذا ما جعل منه تراثًا قصصيا محفوظاً، إذ لجأ الرحالون إلى تصوير مشاهداتهم أثناء سيرهم وهذا الجانب مكتسب فينا، فنجد أجدادنا الأولين كانوا يسردون أو يقصون لنا حكايات شعبية أو تراثية وقعت معهم ومع غيرهم، وأيضا سردوا لنا وقائع الثورة، والمستمع لهم منّا يتخيل نفسه وسط الحدث ويتبادر في ذهنه من الوهلة الأولى كأنه عايش الأمر بحذافيره ويتمنى لو كان معهم، أمّا عن جودة الأسلوب فلكل قاص أسلوبا بميزه عن غيره وبالنسبة للإقناع فكلّ يعتمد البراهين والأدلة الكافية لإثبات صحة كلامه والتأثير في المستمع.

### 3- الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية:

لقد حث الله تعالى على الرحلة واخبرنا بها في القرآن الكريم، إذ نجد الكثير من الأنبياء اعتنوا بها، فارتبطت عندهم بمجموعة من القضايا نذكر منها: التعليم والتعلم والجهاد في سبيل الله

[1] - حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص09.

[2] - مدحت عبد الجبار، أدب الرحلة رحلة الشام للمازني أنموذجا، ط1، دار النديم، القاهرة، مصر، 1994، ص46.

والتفكر والاعتبار، والدعوة إلى الله وتطبيق أوامره كما أخبرنا عن أغراض الأنبياء والدافع لها خاصة في أسفارهم، إذ نجد لفظة الرحلة وردت في الكتاب الكريم في سورة قريش التي يقول فيها الله تعالى: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ (١) إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ (٢) فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ (٣) ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ (٤) ﴾ [سورة قريش الآية: 1-4] ،«وهنا ارتبطت الرحلة بعادة أهل مكة والقيام برحلتي الصيف والشتاء إلى الشام واليمن لغرض اقتصادي حيوي وهو التجارة»[1]، ومنه اعتبرت الرحلة مصدرا لطلب الرزق رغم مشقتها وبعد مسافاتها، إلا أن الهدف فيها يبقى الحافز الأول والسبب الرئيسي في الترحال، فكان الحج إلى بقاع الله المقدسة أسمى الرحلات وأقربها لكسب مرضاة الله، ونجد لفظة "رحل" في القرآن الكريم بمعنى المتاع، وهي مقابلة للراحلة كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ (٧٠)﴾ [سورة يوسف الآية 70].

فجعل الله عزّ وجل هنا العبرة من وجود إناء من ذهب في أمتعة إخوة سيدنا يوسف هو النيل منهم و أخذ جزائهم، لأن الله لا يمكرُ غير القوم الظالمين، وديننا الحنيف خصص لكل وسيلة من وسائل النقل والتنقل مجالاً وبين فيه محاسنه و مساوئه، و لم يترك فائدة إلا وذكرها في كتاب الله الكريم وسنة نبيه وحديثه الشريف.

و أما عن الأحاديث التي دلت على الرحلة في سبيل العلم كثيرة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حرص عليها، فقال: " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة"[2].

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه الأخيار بالخروج من مكة وهاجر هو بعدهم إلى المدينة المنورة هربا من أرض الشرك والكفر وخوفا من الفتنة.

كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: "من خرج من بيته ابتغاء العلم وضعت الملائكة أجنحتها له رضا بما يصنع"[3]، لأن طالب العلم تحرسه الملائكة حتى يرجع من مكان أو مقصد

---

[1] - سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص16.

[2] - أبي زكرياء يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة، الجزائر، 2002، ص353.

[3] - الرحلة في طلب الحديث، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، تح: نور الدين عتر، د ط، دار الكتب العلمية، 1975، مج 1؛ ص73.

علمه، فإذا مات اعتبر، شهيدا فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب العلم ويفضله على العبادة لانه من علم وفقه وزاد يقينا أدرك العبادة، ونخلص في الأخير إلى أن الرحلة في القرآن الكريم والسنة مقترنة بدوافع ذات منافع عامة وخاصة مثل التجارة والتدبر في خلق وشؤون الكون وتبليغها للآخرين الذين حرموا من رؤيتها وكذلك الحج وطلب العلم.

## ❖ الرحلة في طلب العلم:

حرص الإسلام على طلب العلم وفرضه على كل مسلم ومسلمة، لذا فقد اهتم طلبة العلم قديما بالرحلة إلى الصحاري آملين إيجاد فوائد لم يعرفوها من قبل كجمع الحديث أو التقاء المشايخ، حتى أصبحت الرحلة شرطا لازما للعالم، عموما ولعالم الحديث خصوصا.

فقد روي عن الصحابي الجليل "عبد الله بن مسعود" أنه قال: « ما أنزلت آية إلا وأنا أعلم فيما أنزلت، ولو أني أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل والمطايا لأتيته»[1].

وروي عن الشعبي (ت103هـ) قوله: « لو أنّ رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن فحفظ كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع»[2]، وكثيرا ما تكون الرحلة جامعة بين شيئين يكملان بعضهما هما: الحج وطلب العلم.

كما نرى عن ابن بطوطة وابن جبير وغيرهم، فلا عجب إذا ألفينا معظم الرجال تتجه من المغرب إلى المشرق وإنها في المغرب والأندلس أكثر منها في المشرق ولعل السبب الرئيسي يتلخص في ما يلي:[3]

**أولا:** وجود الديار المقدسة في المشرق.

**ثانيا:** كثرة العلماء.

**ثالثا:** احتواء المدن المشرقية على العديد من المكتبات والمدارس وتضم أهم الكتب القيمة.

---

[1] - الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، تح: نور الدين عتر، ط1، دمشق ،سوريا ، 1975، ص95.

[2] - المرجع نفسه، ص96.

[3] - علي إبراهيم كردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، ط1، منشورات الهيئة العامة السورية، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2013، ص14.

وعليه فقد ارتبطت معظم الرحلات بزيارة البقاع المقدسة وبحثا عن الزاد المعرفي وملاقاة المشايخ الكبار وكشف ما كان مجهولا من المعارف.

وكانت الرحلة في طلب العلم من أشهر الرحلات في التحصيل العلمي، فكان المسلمون ينتقلون من بيئة لأخرى حتى يتزودوا بأغلى القيم و أسماها، فيأخذون من المعارف والأخلاق والفضائل ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم.

وقد تعددت استعمالات لفظة "سفر"، فاقترنت بمفهوم الرحلة في طلب العلم والمعرفة وجاءت لفظة "أسفار" دالة على معاني كالكتب والمراحل أو الأماكن المملوءة بالسكان، ومنه جاء قوله تعالى: ﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ (١٩) ﴾ [سورة سبأ:الآية 19]

وفي موضوع السفر للتعلم، وتوسيع الخبرات، ما نجده في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الرجل الصالح الخضر، فكان السعي في طلب العلم ومجالسة المشايخ أثر بالغ في نفوس الرحالة فحرصوا أشد الحرص على الأخذ والنهل من مكتسباتهم.

فسيدنا موسى عليه السلام كليم الله رغم مكانته إلا أنه واجه من هو أعلم منه، لأنه حدّث نفسه بأنه ليس هناك أحد أعلم منه أو تكلم به، إلا أنه تفاجأ بالخضر، وقد لقي نصيبه من الدأب والسفر و صبر وخضع له، رغم شرف نبوته وموضعه دلالة على ارتفاع قدر العلم وعلو منزلة أهله.[1]

إذ أن الشغف واللهفة في طلب العلم غاية كل إنسان و لابدّ من السعي وتحمل المشاق في سبيله حتى ولو ركبنا البحار من أجله، ولابدّ من التحلّي بالتواضع لأنه صفة خير البشر، فسيدنا موسى طلب العلم من الخضر وذلك تزكية لنفسه وتواضعا منه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا (٦٠) ﴾ [سورة الكهف ، الآية 60] ، نرى في هذه الآية الكريمة عزم وإصرار سيدنا موسى على التعلم ومعرفة المزيد ونستنتج من هذا علو ورفعة شأن العلم، كما جاء أيضا في قوله تعالى:﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا

[1] - الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص106 – 107.

عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) ﴾ [سورة الكهف، الآية 66] نلاحظ تواضع سيدنا موسى مع الرجل العالم في هذه الآية الكريمة، ليسترشد به في أمره من العلم النافع والعمل الصالح.

### 4- أشهر الرحلات العربية:

تشير كتب المؤرخين إلى أن العرب منذ القدم اشتهروا بالانتقال والسفر بمختلف أنواع وسائل النقل، وقد تعدّدت أغراضهم، وكانت الدّوافع لذلك اقتصاديًا كالتجارة أو سياسيا كزيارة الملوك أو اجتماعيا كالبحث عن علاج أو ثقافيا كرحلات الحج والذهاب في طريقهم لطلب العلم والتزود من المشايخ ومجالسة الكبار، فكانت تجارتهم نشطة للغاية «و قد اشتهروا بالتجارة مع الشعوب الإفريقية في شمالها وشرقها، وأيضا في شرق الجزيرة حتى الهند وما وراءها وكانت كذلك للعرب رحلات تجارية مزدهرة خاصة من العراق والشام واليمن، وإن لم تدوّن هذه الرحلات تدوينا خاصا شاملا أو جامعًا، اللهم إلا ما ورد متناثرا في قصائد الشعر وكتب اللّغة»[1]، فسابقا نجد رحلات أهل مكة إلى بلاد اليمن والشام قصد التجارة، وصحيح لم تُدوَّن كما هي إلا أن الجغرافيين أو الرّحالة قدّموا لنا لمحة عامة عن هذا الفنّ، وتعود الأقدمية في الترحال أو التنقل إلى كون «السبئيون أقدم الأقوام العربية التي تخطت عتبة المدينة، وكانوا فينيقيي البحر الجنوبي فقد عرفوا طرقه وتعرّجاته وسواحله وموانيه، و امتلكوا رياحه الموسمية الغدّارة فامتلكوا بذلك تجارته، خلال القرون الثلاثة عشر الأخيرة قبل ميلاد المسيح، وبعد الانتصارات التجارية والاقتصادية التي أحرزها عرب الجنوب لم تكن الممالك التي شادوها دولا حربية و إنّما كانت ممالك تجارية».[2]

عُرف البشر سابقا بالتجارة وهذا هو الدّافع الرئيسي الذي جعلهم يجولون بقاع العالم برًّا وبحرًا، واكتشفوا تقنيات جديدة في المعاملات وحققوا أرباحا عظيمة، وكانوا يلجؤون إلى الاحتكار كما هو واضح، «كان العرب إذا يحتكرون التجارة الشرقية القادمة بحرا عن طريق الجنوب الذي كان يأتي من الهند إلى الموانئ في جنوب بلاد العرب أو جنوبها الغربي، حيث كان دأبهم أن يجعلوا حاصلات بلادهم وحاصلات إفريقيا الشرقية والهند ثم يرسلوها على ظهور الإبل شمالا من مأرب إلى مكّة المكرّمة فالشام ومصر اجتنابا لأهوال السفر في البحر الأحمر»[3]، نلاحظ

[1] - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص25.

[2] - المرجع نفسه، ص26.

[3] - المرجع نفسه، ص27.

أن العرب سابقا لكثرة تنقلهم حفظوا الطرقات أمّنوا نصيبا لحياتهم، وأحسنوا التعامل مع مخاطر الطرقات.

### 5- الرحلة عند العرب قديما:

انطلق أدب الرحلة سابقا في القرن الثالث الهجري على يد أبي العباس أحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي صاحب (كتاب البلدان) وكذلك البلاذري في كتابه (فتوح البلدان) وفيه مسحة تاريخية غالبة على الجغرافيا وفي القرن الرابع الهجري يتحفنا المسعودي بكتابه (مروج الذهب) متحدّثا كما قال عن« هيأة الأرض ومدها ... وأخبار غيظها، وأصل النسل وتباين الأوطان»[1]، لقد ظهر أدب الرحلة قديما على يد العديد من الرحالة فكلّ يقدم وجهة نظره أو ما شاهده في رحلاته حسب العصر الذي عايشه، فأبي العباس المعروف باليعقوبي أعطى مسحة تاريخية وجاء بعده المسعودي وصف لنا الأرض وأخبار أهلها ويليهم البيروني.

«ثم يأتي البيروني كحلقة وصل بين القرنين الرابع والخامس من الهجرة وفي هذه الحقبة تطوّرت الرّحلة، وبرزت كفن أدبي، ثم تحوّل هذا النوع من الأدب إلى المغرب الإسلامي، وتقدّم فيه للريادة خلال القرن السادس الهجري (الإدريسي) من خلال كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الأفاق)، بعده بخطوات متقدّمة خصوصا بعد ظهور الرّحلة الأكثر شهرة في أدب الرّحلات، أي رحلة ابن بطوطة، التي عبر بها الأوطان والقارات ويليه ابن خلدون في رحلته إلى الأندلس في القرن الثامن من الهجرة»[2]، تطوّر أدب الرحلة وبرز كفن أدبي في القرنين الرّابع والخامس من الهجرة، واشتهر كثيرا وظهرت رحلات ابن بطوطة وابن جبير وابن خلدون في الطريق.

### 6- أشهر الرّحالة العرب:

لقد اختلف الباحثون في تصنيف أنواع الرّحالة من منظورات حقوق اشتغالهم، فهناك رحّالة أدبيين ورحّالة جغرافيين فيهم من يجول بقاع العالم من أجل غرض علمي، و آخرين يشتركون في أغراض تجارية وسياسية ودينية ومنهم من يرى ثلاث أصناف في الرحّالة:[3]

---

[1] - عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية و أدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 2007، ص43.

[2] - المرجع نفسه، ص44.

[3] - عبد الله التحاني، رحلة التحاني، د ط، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981، ص32.

- صنف يجتهد من أجل الالتقاء بالمشايخ الكبار ذوي الدراية الكاملة بشؤون الدّين والإحاطة بجوانب العلم والمعرفة.
- صنف يميل كل الميل إلى الأدب والتراجم.
- صنف يعتمد إلى الإتيان بمشاهدات متنوعة.

حيث قسّموا إلى الرّسول، وصاحب البريد، والجاسوس، والراغب والمغامر والسفير، والملاّح، والتّاجر، والعالم، فتنوع الرحالة يؤدي بالضرورة إلى تنوع الرّحلة[1].

الرحّالة أنواع ولكل منهم غرض شخصي أو دافع قوي كحب اكتشاف الآخر أو معرفة طبائع البشر وتنمية قدراتهم العقلية وصقل معارفهم من خلال معاشرة الأجانب أو العرب ومختلف الأجناس بصورة أو بأخرى.

«يمكن اعتبار فئة الرّحالين التجار أو الباحثين عن الرزق سواء من خلال التجارة أو الرعي وتربية المواشي، هي الفئة الأقدم تاريخيا يليها الرحالون الحجّاج إلى مكة والمدينة أو بيت المقدس أو الأماكن المقدّسة، ثم الرحّالة المكتشفون، وطلاّب العلم ومنهم الباحثون في المسالك والممالك، هم فئة قديمة مهّدت للنص الرحلي المكتوب، وهناك السفراء الذين ذهبوا في مهام رسمية ... و الرحالة الهاربين من وضع سياسي أو الباحثين عن شفاء لأمراض عدّة».[2]

كثرت وتنوعت رغبات الرحالين فكلّ منهم يقصد مكانا غير مكانه الأصلي باحثا عن مصدر عيش أو جلب رزق أو هربا من انتشار وباء، أو بحثا عن علاج أو فرارا من أحد الملوك كلّ ذاهب ومرتحل إلى بلد آخر حسب حاجته هناك ومن أشهرهم نذكر ما يلي:

### 6-1- رحلة ابن جبير: (540 - 626هـ)

أديب وشاعر وفقيه وأشهر رحالة القرن السادس الهجري (12 ميلادي)، قام بثلاث رحلات جميعا بغرض الحج إلى بيت الله الحرام، إذ كان لا يعود مباشرة من البقاع المقدّسة بل يتجه مباشرة نحو أماكن أخرى.

---

[1] - حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس مدريد، ط2، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، إسبانيا،1986، ص 10 – 11.

[2] - حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، ط1 ، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص134 – 135.

ولد أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنافي الأندلسي في بلنسية سنة (540-1145 هـ) لأسرة تنتمي إلى بلدة شاطبة بالأندلس، رعاه أبوه واهتم بتربيته، فدرس العلوم الدّينية واللغوية، وما أن بلغ سنّ الصبا حتى تيقظت مواهبه.[1]

اشتهر كثيرا في عصره وذاع صيته حتى علم به ملك غرناطة فالتقاه، فأحبّه وتعلق به، فأمر بتدوين كتاباته، ودعاه في أحد الأيّام لشرب الخمر، لكنّه رفض في البداية، وبعدها اضطرّ أن يشرب معه لإرضائه، لكنه مع مرور الوقت جمع الأموال وقرر أن يسافر إلى بقاع الله المقدسة لتأدية فريضة الحج وجعلها كفارة على ما ارتكبه من ذنوب في حق الله وحق نفسه.

لقد كان له يد في نماء أدب الرحلة كما قيل: « رفع هذا الضرب من الصياغة الأدبية إلى درجة عالية»، في رحلته لتأدية فريضة الحج عن طريق البحر المسماة«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار»[2].

إذ نجدها من أهم الرحلات المدونة الأولى التي وصف فيها الطريق للحج وعادات البلاد هناك وصفا دقيقا.

« ورحلة جبير تقص ما شاهده في طريقه إلى حجته وعودته منها، وهي مكتوبة بشكل مذكرات يومية، فمع كل مشهد وكل بلدة التاريخ باليوم والشهر» [3].

إن عنوان رحلة ابن جبير « تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» يمثل مضمونها التذكير بمعلومات إخبارية معلومة و مجهولة (تاريخ وجغرافيا) تتمثل في مشاهدة السارد، أما الشطر الثاني فهو يماثل كلمة الأخبار في الجمع ومزج مضمونها الذي حول اتفاقات الأسفار، أي أن النص عبارة عن مجموعة من الأسفار يقع التذكير بأخبارها» [4].

نلاحظ أن ابن جبير كان يسجل تقريرا عن مختلف المواطن والتوقف عندها، والتحدث عنها ووصفها وصفا دقيقا، فكان يجهد نفسه في معرفة الآخر والتطلع على خباياه والاستفادة منه.

---

[1] - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص384.

[2] - علي إبراهيم كردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، ص11.

[3] - شوقي ضيف، الرحلات، ط4، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص71.

[4] - حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، ص180 – 181.

كتب ابن جبير معظم رحلاته بلغة سهلة وواضحة، خادما لموضوعها، إذ نجده يبدع في طريقة سرده للأحداث بطريقة قريبة إلى النفوس، فيصف كل ما رآه وصفا دقيقا، و كان يعبر عنه مثلما اختلجت نفسه بأسلوب صادق وصريح.

**6-1-1- أشهر رحلاته وأسفاره:**

**أ- تذكرة الأخبار واتفاقات الأسفار:**

اتسمت عباراته بجمال التركيب وحلاوة البيان، فهو يجيد صناعة السجع وسبكه فيقف واصفا أحد خطباء الحرم الشريف في مكة: «وفي أثناء ذلك حديث خطيب ترشقه سهام من المسائل فيتلقاها بمجن من الجواب السريع البليغ فتحتار له الألباب»[1].

نجد الكثير من الذين جاءوا بعده، تأثروا كثيرا بأسلوبه ووصفه للأماكن، و منهم ابن بطوطة الذي أخذ عنه عبارات ومشاهد وصف لبعض المدن.

**ب- ديار الشام:**

«دمشق جنة المشرق ومطلع حسنه المؤنق المشرق، وهي خاتمة بلاد الإسلام التي استقريناها وعروس المدن التي اجتليناها، قد شملت بأزاهير الريحان، وتجلت في حلل سندسية ... ».[2]

لم يركز ابن جبير في رحلاته على وصف المدن، وإنما سعى إلى إبراز القيمة الجمالية للألفاظ كما اتضح في عباراته، فأحسن التعبير وأتقن تقنياته.

إذ نرى في الرحلة نوعا من الحركة، وهي أيضا مخالطة للناس والأقوام، «وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة، لذا كان للرحلات قيمة تعليمية، من حيث أنها أكثر المدارس تثقيفا للناس»،[3] وهذا يعني أن الرحلة ظهرت منذ خلق الإنسان وبعث على وجه الأرض، فرحلة آدم وحواء كانت بداية لبحث الإنسان عن مأواه الأصلي وحسب ظروفه، فاختلفت دوافع رحيله

[1] - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص389.

[2] - المرجع نفسه، ص400.

[3] - حسن محمد فهيم، أدب الرحلات، ص15.

وتعددت وسائل نقله من برية وبحرية، إذ جاءت تعابير وأوصاف الرحالة مشحونة بملامح أو ثقافة واكبوها أنذلك، واختلفت أنواع رحلتهم من فعلية إلى خيالية، رصدت أحوال الناس هناك.

«درس ابن جبير الرحلة من ثلاث نواح: (المرافق، والمشاهد، وتضم المرافق في خلده: الأسوار، والمساجد والحصون، المدارس والحمامات والمياه...».[1]

لذلك فإن معظم الرّحالة وعلى رأسهم ابن جبير لم يتجاوزوا وصف الأماكن أو المدن أو الطرقات، وقد أولوا عناية بالغة بطبائع البشر وتصرفاتهم، إذ وجدوا اختلاف كبير بين العرب والطرف الآخر الغربي.

أما من تبع ابن جبير فهو الهروي وغيره من رحالة القرن السابع والقرن الثامن الهجري نصادف اثنين من مشاهير الرحالين العرب عرفوا بحبهم الكبير للسفر والتنقل ومعرفة أحوال الناس وخباياهم، فوصفوا لنا مراحل سفرهم، وقوفهم على العديد من الأماكن وصوروها في أجمل حلة أدبية لها.

### 6-2- رحلة ابن بطوطة: (703هـ - 776هـ)

أشهر رحالة ذاع صيته في الشرق والغرب بفضل حيويته ونشاطه وحبه للسفر والترحال فكان ذو ثقافة واسعة ميزته عن غيره من الرحالة، إذ كان مولعا ولعا شديدا بالترحال والسفر نحو شتى بلدان العالم.

« هو أبو عبيدة محمد بن عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، ولد في السابع عشر من رجب سنة 703هـ، الموافق للرابع عشر فبراير سنة 1304م»[2] ،تعتبر البيئة التي نشأ فيها ابن بطوطة بدءًا من أسرته الكريمة بيئة محافظة وملتزمة، تتحلى بأرقى القيم إذ بلغت من العلم والفقه نصيبها، فتأثر بتلك المبادئ وكانت ثمرة تأثره أنه حبّذ زيارة بيت الله والرحلة له، ومنه كانت رحلاته الثلاث.

[1] - حسين نصار، أدبيات أدب الرحلة، ط1، دار نور بار للطباعة، القاهرة، مصر، 1991، ص 124.

[2] - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص490.

**6-2-1- أشهر رحلاته:**

- ✓ بدأ إلى البيت المكرم عام 725هـ، وسلك مختلف الطرق وصولا إلى مكة المكرمة.
- ✓ ارتحل من مكة المكرمة إلى بلاد العجم وقام بزيارات عديدة منها ديار بكر ثم عاد إلى مكة وكانت الحجة الثانية سنة 729هـ و 730هـ.
- ✓ انتقل إلى العديد من الجزر كجزيرة سريلانكا ثم سافر من مصر إلى مكة لأداء فريضة الحج للمرة الرابعة.[1]

كانت معظم رحلات ابن بطوطة في البقاع العربية والقليل منها في البلدان الأوروبية ومن أشهر كتبه"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" وهو عنوان كتاب الروايات والأحداث التي دونها ابن جزي نقلا عنه.

وقد كشفت أيضا الكثير من روايات رحلة ابن بطوطة عن «الإنسان المسلم» وعن طبيعة الأمة الإسلامية في القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي فرحلاته أبرزت الجوانب المشرقة للحضارة الإسلامية.[2]

أعجب ابن بطوطة بالمنشآت الاجتماعية في الصين، مثلا ملاجئ العميان وذوي العاهات وبعض المستشفيات وقد اهتم بطبائع البشر و أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، فنجده يبحث عن الجمال في كل موطن نزل فيه، فركز على جمال المرأة في جزر المحيط الأطلسي.[3]

إذ كان يميل بحبه وشغفه نحو معرفة واكتشاف كل ما هو جديد، فيرحل ويجول بقاع العالم ويروي للناس ما لاحظه أثناء رحلته من عجائب وغرائب، وقد نهل جل رحلاته من الطرائف والنوادر وما شاهده آنذاك وعلى تعبير "ابن خلدون" متحدثا عن "ابن بطوطة": «...وكان يحدث في شأن رحلته ما رأى من العجائب بممالك الأرض».[4]

---

[1] - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 2001، ص05.

[2] - حسن محمد فهيم، أدب الرحلات، ص23.

[3] - أدبيات أدب الرحلة، حسين نصار، ص123.

[4] - حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، نقلا عن ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب وعجائب الأسفار، ط2، بيروت، لبنان، 1992، ص32.

فنجده كان يحرص على تسجيل كل ما يسمع ويرى، رغم أنه كان ينسى بعض الأماكن التي زارها ولا يستطيع تذكرها أو وصفها، ففي أثناء رحلته إلى تونس مكث مدة زمنية في جامع الزيتونة وذهب قاصدا بيت الله لأداء فريضة الحج، فطلب منه الحجيج أن يكون لهم قاضيا في تلك الفترة ولما وصل إلى الإسكندرية نزل في ضيافة كبار الزهاد "برهان الدين الأعرج".

يقول ابن بطوطة: "دخلت عليه يوما، فقال لي أراك تحب السياحة والجولان في البلاد، فقلت له نعم إني أحب ذلك، ولم يكن حينئذ بخاطري التوغل في بلاد الهند والصين، فقال لابد لك إن شاء الله من زيارة أخي فريد الدين بالهند، وأخي ركن الدين زكرياء بالسند، وأخي برهان الدين بالصين، فإذا بلغتهم فأخبرهم مني السلام، فعجبت من قوله، وألقى في نفسي التوجه إلى تلك البلاد، ولم أزل أجول حتى لقيت الثلاثة الذين ذكرهم وأبلغتهم سلامه، ولما ودعته زودني دراهم لا تزال عندي، ولم أحتاج بعد إلى إنفاقها إلى أن سلبها مني كفار الهنود فيما سلبوه مني في البحر".[1]

ومن الملحوظ أن الناس في عصره أيقنوا أن "ابن بطوطة" حقا شخص محب للترحال ومشاهدة أحوال البشر ووصفها بأدق وأجمل الأوصاف، فلم يتسنى له نسيان الأشخاص الذين عرفهم فكان دائما يحكي عنهم، وخاصة من لهم درجة كبيرة من العلم والفقه والدراية بشؤون الدين، فمن لطفه أنه كان يقوم بزيارة قبورهم والدعوة لهم بالمغفرة والرحمة.

### أ- رحلته إلى مكة:

يقول«ولأهل مكة الأفعال الجميلة، والمكارم التامة، والأخلاق الحسنة والإيثار للضعفاء والمنقطعين، وحسن الجوار للغرباء، ومن مكارمهم أنهم إذا صنع أحدهم وليمة، يبدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين،... وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس، وأكثر لباسهم البياض، فترى لباسهم أبدا ساطعة ناصعة، ويستعلمون الطيب كثيرا.. »[2]،لقد تأثر ابن بطوطة كثيرا بأهل الدين والشريعة، إذ نجده يصفهم بأجود وأرقى الأوصاف فأهل مكة المكرمة أهل طهر ورائحة طيبة، يساعدون المحتاج، ويؤمنون بقرب الله وأنه سيرد جميلهم في الآخرة، فجزاء الحسنة بعشرة أضعافها.

[1] - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص491.

[2] - المرجع نفسه، ص396.

«لقد اعتبرت رحلات ابن بطوطة من الرحلات السياحية التي كانت تهدف إلى الإطلاع على غرائب البلاد والسياحة في الأرض».[1] فشخصيته المرحة تميل إلى أطرف وأندر الأخبار والأحداث، كما يحب تقرير معظم أخبار البشر في معظم أنحاء العالم.

**ب- رحلته إلى الهند:**

ارتحل إلى الهند أول شهر محرم سنة (714هـ-1333م)، وكان سلطانها أنذلك "محمد شاه" وحينها سقط نظره على حيوان يدعى (الكركدن) **فوصفه بـ:** « أنه حيوان عظيم الجرم أسود اللون، ضخم الرأس، ولذلك ضربوا به المثل هناك فنجدهم يقولون: رأس بلا بدن، وهو دون الفيل، ولكن رأسه أكبر وأعظم من رأس الفيل، وله قرن واحد بين عينيه طوله نحو ثلاثة أذرع وعرضه نحو شبر».[2]

وعلى هذا النحو أخذت عين ابن بطوطة تلتقط كل ما في الهند من نباتات وحيوانات وثمار، وأيضا انتبه وتفطن لمختلف عاداتهم وصور لنا مجالسهم ومواكبهم، وتعجب من معتقداتهم، واستغرب في حرق النساء مع أزواجهم حين يموتون.

و يقول: «رأيت الناس يهرعون ومعهم بعض أصحابنا، فسألتهم ما الخبر؟ فأخبروني أن كافرا من الهنود مات وأجّجت النار لحرقه، وامرأته تحرق نفسها معه، ولما احترقا جاء أصحابي وأخبروني أنها عانقت الميت، حتى احترقت معه...»[3]

وأيقن حينها أنه في بلاد الكفر، وأن هؤلاء الناس مازالوا على غفلة من أمرهم، يظنون أن إحراق الموتى سينجيهم من عذاب الله، وبالأحرى عذاب القبر، وأن رمادهم سيجعل روحهم قريبة منهم، وأنهم سيزورونهم كل يوم لأنهم لا يؤمنون بيوم الآخرة ولا قضاء الله وقدره.

استطاع ابن بطوطة أن يحقق الجانب السياحي والروحي والعلمي في رحلاته، فكان جل اهتماماته بالجوانب العجائبية والاجتماعية في الحوادث فنجده يتعجب من إحراق جثث الموتى

[1] - علي إبراهيم كردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، ص14.
[2] - شوقي ضيف، الرحلات، ص107 – 108.
[3] - المرجع نفسه، ص 108 – 109.

وشرب أهل آسيا الخمر دون حياء، أما الجوانب الاقتصادية فاهتم بادخار أهل الصين للذهب على شكل سبائك ، "وجاءت رحلاته عل شكل مذكرات دون فيها جل ما صادفه من أحداث "[1].

من المعروف أن الرحلة عند العرب متداولة منذ القدم، وقد جاءت بمعنى الحركة والانتقال من مكان لآخر، وقد ارتبطت بالرحلات التي كان يسافر فيها الرحالة العرب لاكتشاف أماكن جديدة، وقد تنوعت الرحلة بتعدد أغراضها، وقد كانت لطلب العلم أو للتجارة أو لأداء شعائر دينية ... ومن أشهر الرحالة العرب نذكر ابن جبير، الذي دون معظم رحلاته بلغة سهلة وواضحة وبأسلوب صادق وصريح، كما نجد ابن بطوطة الذي كانت معظم رحلاته في البقاع العربية والقليل منها في البلاد الأوروبية، كما استطاع أن يحقق الجانب السياسي والعلمي والروحي في رحلاته.

[1] - حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص 24-25.

# الفصل الأول

# أدب الرحلة في المغرب

## I- فن الرحلة عند المغاربة:

اهتم الباحثون بأدب الرحلة وحرصوا على وصف كل ما ارتحلوا إليه وشاهدوه، إضافة إلى التدوين وبرع في ذلك الرّحالة المسلمون خاصة المغاربة، ومن الدوافع التي أخذت اهتمامهم إلى القيام بمثل هذه الرحلات السّعي لإكمال ركن من أركان الإسلام وهو «تأدية فريضة الحج، والقيام بالمناسك وما يصحب ذلك عادة من زيارة قبر الرّسول صلى الله عليه وسلم والأماكن المقدسة التي لها اعتبار خاص عند المسلمين»[1]، إضافة إلى دافع آخر هو «الرغبة في ارتياد المجهول وتقصي الحقيقة وطلب العلم والمعرفة من مواطنها الأصلية»[2] ، وهذه الأخيرة تعتبر من أهم الأسباب والدوافع في «اتساع رقعة الدولة الإسلامية التي امتدت من الصين شرقا وحتى المحيط الأطلسي غربا.

فلقد عني المسلمون عناية خاصة، بعد الفتوحات العربية بالبلاد التي خضعت لهم وأصبحت جزءا من دولتهم، فدوّنوا لها الدّواوين وعبّدوا إليها الطرق ونظموا لها البريد»[3]، لقد كان للفتوحات الإسلامية دور بارز في تطور العديد من الأشياء كالازدهار في التدوين وغيره...

لقد شاع فن الرحلات عند المغاربة، حتى أصبح فنّا قائما بذاته، حيث تم تدوينه بأسلوب مميّز في سفرهم، فسجّل الرحّالة تاريخ مكوثهم في كل مدينة، وأعطوا لمحة وافية عنها، ومن المدن التي اهتمّ بها الرحّالة مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، حيث وصفوا هاتين المدينتين بأنّهما أراض مقدّسة وفيها تؤدّى مناسك الحجّ، أمّا المراكز العلمية فاهتم بها العلماء وتلقوا فيها القدر الكافي من العلوم.

### 1- أنواع الرحلات:

أبدع المغاربة في كتابة الرّحلات وصفا، وتسجيلا وعرفوا أنواعا كثيرة، ولقد حاول الدّارسون تصنيفها وحصرها لكنهم اختلفوا في تصنيفهم لها، وبما أنّ الرحلة

---

[1] - الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ط1، مطابع عكاظ، الرباط، المغرب، 1990، ص69.

[2] - أحمد رمضان محمد، الرحلة والرحالة المسلمون، د ط، دار البيان العربي، جدّة، السعودية، د ت، ص70.

[3] - المرجع نفسه، ص07.

عنصر قوي في الحياة فقد تعدّدت أنواعها من خلال الدوافع والأسباب والغايات التي كانت تقام من أجلها فنجد أن الباحثين حصروا الرحلة في عدّة أنواع منها:

### أ- الرحلة الدينية: (المقدسة)

من إحدى أسس الإسلام حجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلا، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧)﴾ [سورة الحج، الآية، 27 ].

شرع الله الحج إلى بيته الكريم لمنافع عظيمة تعود على المسلمين في دينهم ودنياهم، «وقد أقدموا على تلبية هذه الدّعوة الكريمة بكل حماس، ينفقون في سبيلها كل مرتخص وغال وقبل أن يحين موسم الحج بشهور تتحرّك القلوب منطلقة إلى البيت الحرام، ثم يركب الحجيج الدروب الطويلة في اتجاه مكّة والمدينة»[1]، فرغبة كل مسلم هي زيارة بقاع الله المقدّسة، فمن ساعدته ظروفه سيقصد بيت الله لا محالة.

«وهذا الهدف الدّيني هو الذي استقطب أغلب الرحلات، فالرحلة إلى الشرق كانت تعني الحج في الأساس، إذ المتعارف عند المغاربة إلى الآن أنهم يقولون ذهب إلى الشرق ويعنون تأدية فريضة الحج»[2]، فالهدف من الرحلات إلى المشرق هو الحج وزيارة البقاع المقدّسة والإقبال عليها والتعرّف على مكّة المكرمة والمدينة المنوّرة.

### ب- الرحلات الاقتصادية:

تعتبر رحلة الشتاء والصيف من أشهر الرّحلات التجارية القديمة، فأهل مكة كانوا يرتحلون من مكّة المكرّمة إلى اليمن والشام قصد التجارة، وقد واجهوا مختلف الصعاب، وتعرّفوا على شتّى الأجناس واختلطوا ببقية البشر المجاورين لهم والبعيدين عنهم، وقد بات "من المعروف أنّ العرب سابقا كانوا أهل تجارة وكانت بلادهم سوقا هائلة يغدوا إليها التجار من مختلف البقاع، وعندما رسّخت قواعد الخلافة الإسلامية، واتّسعت أرجاؤها، وانتشر نفوذها السياسي والاقتصادي، اتّسع نطاق التجارة حتى شمل

[1] - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص31.

[2] - الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر الميرني، ص69.

العالم الإسلامي»[1]، بل تعدى إلى الساحل الغربي، وشملت تجارتهم كل من أوروبا ودول البلطيق مرورا بسواحل آسيا وأفريقيا والبحر الأبيض المتوسط.

إذ يعدّ «الطريق البحري الذي تحدّث عنه الرّحالة المغاربة عندما ذكروا الموانئ البحرية التي مرّوا عليها في نقل التجارة والمؤن للتوسّع على الحجيج أثناء طريقهم»[2]، فمعظم رحلاتهم كانت عبر البحار والمحيطات، وكانوا ينتقلون وينقلون بضائعهم من بلد إلى آخر، ممّا ساعد في وحدة الثقافة والدّين في أقطار العالم الإسلامي، من خلال المبادلات التجارية بين البلدان، وكانت العلاقات بين الدّول علاقة وطيدة تربط بينهم الصادرات والواردات .

### ج- الرحلات الرّسمية:

يضمّ هذا النّوع كلا من الرحلات التكليفية ، والإدارية ، والسفارية وهي خاصة بدوافع عديدة منها «تفقد أمر الرعية، أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة، أو الإتيان بأخبارها وقد تكون في إطار التجسّس أو الاستطلاع»[3].

حيث كانت السفارات لا تفرق بين الدّول العربية أو الأجنبية، بل عمد السّفراء إلى تسجيل مغامرات التجارة والتجار في رسائلهم، ووصل بهم الأمر إلى السّفر لنفس الأماكن حبّا للاستطلاع وبحثا عنها وقد كثرت عند العرب وتنوّعت بتنوع حوافزها السياسية والاقتصادية.

وركزت هذه الرحلات على الاهتمام بشؤون الملوك وتدوينها، إذن فالرحلات الرّسمية« لا يهتم فيها الرّحالة بذاته إلا بقدر محدود، فرحلته بصحبة تحركات الملوك والمسؤولين ورجال الدّولة، والغاية منها تدوين كل هذه المراحل الرسمية وتسجيل الأحداث المختلفة»[4]، ويعتني الرحالة في هذا النّوع من الرّحلات بتدوين كلّ ما يلحظه من خلال تحرّكات المسؤولين وتقديم التقارير حول استقبال السفراء أو الوفود، إضافة لكتابة تواريخ الأقاليم التي أقاموا بها مراسمهم.

---

[1] - حسين نصار، أدبيات أدب الرحلة، ص 26.

[2] - عواطف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، د ط، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1429، ص251.

[3] - سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص 30.

[4] - الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ص 98.

### د- الرحلات العلمية:

الهدف من الرحلات العلمية هو السعي وراء طلب العلم ونيله، وهو من بين الأسباب التي دفعت الناس للرحلة، حيث كان الغرض منها في السابق هو مجالسة المشايخ وصقل معارفهم من كبار العلماء، ويقول ابن خلدون في ذلك: «الرحلة لابدّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال»[1].

شجّع ابن خلدون على هذه الرحلة لما فيها من فوائد جمّة، فهي سبيل للتزوّد بالعلوم وصقل المعارف والخبرات ، «و لم تقتصر الرحلات عند المسلمين على طلب العلم والأخذ عن الشيوخ، بل تعدت ذلك إلى نشر علومهم ومعارفهم في المدن وتلقين دروسهم للراغبين في ذلك، وهو ما يدخل في مجال الدعوة إلى الله وتعليم الإسلام، إذ كانت أكثر علوم السلف مرتبطة بالدّين والحياة»[2]، فالرحلات العلمية أو رحلات طلب العلم كانت منذ القديم وهي من أشهر أنواع الرحلات وأكثرها شيوعا، وقد تنوعت أغراضها إلى رحلات استكشافية ودراسية ورحلات لقاء العلماء والتحصيل منهم.

### ه- الرحلات للمؤتمرات و التربصات العلمية:

- **الرحلات للمؤتمرات**: يتعلق الأمر في هذه الرحلات بالاحتكاك الثقافي بين الدّول من أجل الإطّلاع على تجارب الآخرين في عدة مجالات وكيفية الاستفادة منها، قصد التفعيل والممارسة الحقيقية للمعرفة.
- **الرحلات للتربّصات العلمية**: غايتها تثمين الكفاءات الحاصلة في مجال التقدم العلمي من ناحية الاستفادة أولا، أو تقديم الإضافة في مجال معيّن ... فالعديد من المجالات تنهض على ما توصلت إليه التجربة العلمية من خلال التربصات العلمية.

---

[1] - علوي المداني عمر وآخرون، أدب الرحلة والتواصل الحضاري، نقلا عن مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان، 1978، ص541.

[2] - سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص26.

## 2- خصائص الرحلات المغربية:

اختص الرحالة المغاربة في تدوين رحلاتهم بخصائص ميزت أعمالهم عن غيرهم من الرحالة المشارقة، وقد قسّمها كل منهم حسب سعيه إلى خصائص عامة وأخرى خاصة.

### 2-1- الخصائص العامة للرحلات:

بوصف المواقع الجغرافية للرحلات، يقوم الرحالة في رحلتهم بوصف المواقع التي رحلوا إليها و « إن الذي ساعد على تنمية هذا الاهتمام عند المغاربة هو الموقع الجغرافي للمغرب، ببعده عن الشرق والحجاز من جهة وإطلاله على القارة الأوروبية من جهة ثانية ولهذا انتظمت رحلات المغاربة الأقطار المختلفة شرقا وغربا، فكان الحجاز يستقطب أكثر المغاربة ويجذبهم»[1]، فمعظم الرحالة من بينهم ابن جبير وابن بطوطة وابن خلدون وغيرهم... من وقفوا على وصف الأماكن العامّة، كالطرقات والمدن والجبال والحيوانات والنباتات وطبائع البشر وعاداتهم وتقاليدهم، كما وصفوا بقاعا مقدسة كبيت الله الحرام والمساجد وغيرها.

«لكن المؤكد هو أن الذين تناولوا مسألة الرحلة والنص الجغرافيا احتسبوا الرحلة وسيلة لبناء الجغرافية، أمّا التمييز الضروري فهو وجود نصوص جغرافية محضة عبارة عن رحلات إلى أمكنة بقصد معاينتها ووصفها من كافة نواحيها»[2] ، جاءت الرحلة ممزوجة بالسّرد والوصف لمشاهد متقاطعة من أجل تقريب صورة الأمكنة في ذهن القارئ ومعايشة تلك الحالة والإحاطة بكل نواحيها.

### 2-2- الرحلة من أجل زيارة بيت الله المقدّس وطلب العلم:

ذكر ابن خلدون في المقدّمة بأن رحلة المغاربة«كانت غالبا إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق ولم يكن العراق في

---

[1] - محمد إفرخاس، رحلات المغاربة إلى المشرق ودورها في تعزيز ثقافة التواصل، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري ،الإمارات العربية المتحدة، دبي، د ت، ص16-17.

[2] - حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، ص60-61.

طريقهم، فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة»[1]، كان غرض الرحالة المغاربة واضحا من بداية خوض رحلتهم، فكل منهم يبحث عن زاد معرفي يغنيه، فلجؤوا إلى مجالسة كبار المشايخ والتزود بهم واكتساب طرق علمية حديثة، وأساليب عديدة للتعلم.

### 3- أبرز المجالات التي وصفها الرحالة:

اهتم معظم المغاربة بوصف أحوال المجتمعات، واعتنوا عناية بالغة بذكر عاداتهم وغيرها، فصوّروا لنا مختلف طرق عيشهم في شتّى النّواحي، ونذكر منهم "الإدريسي" و"ابن بطوطة" و"ابن خلدون" وغيرهم من الرحالة العرب، وقد اشتهروا في عدة مجالات منها :

#### أ- المجال الاقتصادي:

يصف الإدريسي في كتابه "نزهة المشتاق"المراكز الأساسية، والمسافات التي تربط فيما بينها، إذ ركّز على إنتاجها الفلاحي والصناعي ودورها التجاري، وبالنسبة للسودان مثلا يذكر أهمّ أقاليمه فيقول: "غانة أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها متجرا...."[2]، لقد ركّز الإدريسي في وصفه لأقاليم السودان على الجانب الفلاحي والصناعي إذ اعتبر أن تطوّرها الاقتصادي ناجم عن سعيها في التجارة فوصفها بأنها أكثرهم متجرًا.

#### ب- المجال الاجتماعي:

«لم يهتم الإدريسي بدراسة مجتمع محدّد، إذ وقف عند مجموعة من النصوص والإشارات الدّالة على أنشطة وعادات وقيم سادت في مجتمعات مختلفة عاشت قبله أو زامنت عصره، وتحدث عن علاقات اجتماعية كالعبودية مثلا، فوقف عند عادات الأكل والأمراض واللباس والسفر إلى غيره من التقاليد.... »[3] الإدريسي شأنه شأن غيره من الرحالة، وقد اهتمّ بوصف عادات الغير وتحدّث عن الزنوج والعرب، وبيّن لنا الفرق بين المالك والعبيد أو الحر والأسير إذ نجد بينهما اختلاف في الحقوق والواجبات مثلا.

---

[1] - عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط9، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006، ص805.

[2] - علوي المداني عمر وآخرون، أدب الرحل والتواصل الحضاري، ص60-61.

[3] - المرجع نفسه ، ص67-68.

أمّا بالنسبة لعادات الأكل والأمراض فهم يعتقدون في ظنهم أنهم إذا ما أصيبوا بوباء يتناولون بعض الحشرات أو الحيّات فستعالجهم من عللهم وأسقامهم.

### ج- المجال الدّيني:

لقي اهتمام كبيرا من قبل الرّحالة المغاربة، إذ تناولوه بكثرة ويعدّ من أهمّ المجالات، وذلك ما أشار إليه ابن بطوطة، «وفي الحجاز لاحظ ابن بطوطة أن زواياها سمّيت بالأربطة وأنّها تقتصر على سكان الإقليم، بل أن معظم فقراءها كانوا من المجاورين الوافدين من أنحاء العالم الإسلامي.....»[1]، تأكد ابن بطوطة أثناء رحلاته المختلفة بانتشار الزوايا وتعدّدها كما أشار إلى كثرة المقبلين عليها، «واختلفت أساليب الرحالة من شخص لآخر، وتنوعت حسب رغباتهم فقد ظهرت عندهم كتب أدب الرحلة وعند البعض كتب الأدب الجغرافي، حيث احتوت خصائص تميز أسلوب أدب الرحلة»[2] .

ففي هذا المجال اختص الرحالة المغاربة بتسجيل و وصف كل ما شاهدوه في الحجاز و كل الأقاليم و الزوايا التي زاروها كما أشار ابن بطوطة أثناء رحلاته إلى كثرة الوافدين عليها.

### 4- طبيعة الرحلات :

4-1- **الطابع اللغوي**:استخدموا المفردات السهلة حتى وصل بهم الأمر إلى استعمال الألفاظ العامية، وذلك لتقريب المعنى وتسهيله للقارئ، وأكثروا من الجمل الفعلية على الجمل الاسمية في كتاباتهم، وذلك لإضفاء الحركة والحيوية بصورة ملحوظة، وأيضا اعتمدوا على السرد القصصي، لأن الرحلة حكاية لها بداية ووسط ونهاية، كما استخدموا الوصف كذلك... لجا الرحالة إلى استخدام أساليب واضحة وقريبة من النفوس، لأن ما حاولوا تصويره حقا هو موجود على أرض الواقع، والبعض منهم أضافوا لمسة خيالية.

---

[1] - علوي المداني عمر وآخرون، أدب الرحل والتواصل الحضاري، ص95.

[2] - ناصر عبد الرازق الموافي، أدب الرحلات عند العرب، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط1، الجامعة المصرية القاهرة، مصر، 1995، ص17.

«يكاد الرحالون يجمعون على استخدام طوابع متنوعة في تدوين رحلاتهم من ناحية المضمون».[1]

4-2- **الطابع الموسوعي:** يعطي للرحالة الحرية وهو مقيد في الوقت ذاته، إذ يتوجب عليه الاختيار، فالحرية والتجريب والاستقصاء تساعد الرحالة على اكتشاف الذات والتأقلم مع الغير.

4-3- **الطابع الإنساني:** الرحالة إنسان يصف الإنسان وما يتعلق به، و هذه الصفات العامة أو الخاصة تكشف لنا أوجه الاختلاف والتشابه بين البشر ومدى تعاملاتهم مع الآخر.

4-4- **الطابع الشعبي:** يترتب على كون الرحلة تصف شعوبا أنها ذات طابع شعبي، فالرحلة موجهة لكافة الشعوب ومختلف الأجناس، وتقدم استجابة لعروضهم وآرائهم الشخصية، فمختلف الشعوب تتملكهم الرغبة والفضول في اكتشاف خبايا المجتمعات.

4-5- **الطابع الجمالي:** يخرج الرحالة من أجل المتعة، و يتجه نحو كل ما يحقق أغراض شخصية وذاتية كجمال الطبيعة الخلابة مثلا.

4-6- **الطابع النقدي:** امتلاك روح الناقد، من خلال الخبرة السابقة المضافة حيث يقوم الرحالة بتقييم الأشياء وإعطاء رأيه أو الحكم عليها من خلال انطباعه نحوها.

4-7- **الطابع الفكاهي:** قد يتخذ النقد طابعا فكاهيا ساخرا، أو محببا فيه أنواع المرح، ويعتمد الرحالة في هذا الجانب على المرح الساخر، الذي ينتج عن التعب النفسي أو الشعور بالوحدة.

**5- الخصائص الشكلية للرحلات:**

لقد غيّر الرحالة في الشكل والمضمون لأدب الرحلات، فكل يصنف حسب معرفته وخبرته في هذا المجال، إذ أن «المضمون المتجدد لأدب الرحلة في حاجة لأشكال جديدة تواكبه، لذا كان التجديد في المضمون مقرونا بالشكل، فَسِرُّ عبقرية الرحالة تكمن وراء التركيز على اختراع أشكال جديدة تعتمد على التناسق، إذ يتحكم في شكل الرحلة التدوين الذي يؤدي بدوره إلى تكوين بنية، ويمكن الكشف عن بعض الخصائص المميزة لأدب الرحلة من حيث شكله».[2]

لقد اعتمد الرحالة على أساليب وتقنيات جعلت من عملهم قالبا فنيا مميزا، تتحكم فيه طريقة التدوين التي تنتج لنا بنية من خلال الأسلوب واللغة، ومنه نجد أن:

[1] - ناصر عبد الرازق الموافي، أدب الرحلات عند العرب، ص50.

[2] - المرجع نفسه، ص59.

**أ- طريقة التدوين:**

«عبارة عن عمل حضاري مستنير يتم عن فطنة اكتسبها الرحال (**فطنة عملية** أوفطنة **نظرية**)، وهذه الرحلة المدونة يشعر أفرادها بالفخر والانتماء لأمة معينة، مما يحفزهم على القيام برحلات تهدف إلى نقل هذه المعرفة في صورة كتاب رحلة، هدفه الإعلام والإمتاع ».[1] وهذا ما يميز كتب أدب الرحلات عن غيره من الكتب الأدبية، فيجعل صاحبها الرحال ذو وعي ودراية بالمنهج الذي كتب به أو اعتمده، وعلى هذا ينقسم الرحالة من حيث المادة المتوفرة لديهم إلى **قسمين**«فريق يعتمد على المادة المدونة أثناء الرحلة، إضافة إلى الذاكرة والقراءات السابقة، **وفريق** يعتمد على الذاكرة فحسب».[2] بالنسبة لهذين الفريقين، نجد أن الفريق الأول يتميز على الفريق الثاني، بأنه يعتمد على المادة الخام والذاكرة، وبهذا يمكن للرَّحال أن يدوِّن مشاهداته دون نقص، أما بالنسبة للفريق الثاني فيبدو ضعيفا، لأن الذاكرة لوحدها ستعجز مما يؤدي إلى نسيان **بعض** المعلومات لكثرة تراكمها في الدماغ، وطبعا نجدها تختلف من رحال لآخر.

**ب- البنية:**

«الغرض من درس البنية بيان مدى التوافق بين أجزاء النص فيما بينها، وبيان مدى الانسجام بين النص وهدفه وبذلك يكون التوافق على نوعين:

- **توافق داخلي:** ينطلق من الجزيئات الصغيرة، مفترضا تناغمها وتناسقها.

- **توافق خارجي:** اتساق خارجي. يراعي النواحي الجمالية له».[3] ولقد ركز الرحالة على اتساق الجملة وتركيبها من الناحية الفنية والجمالية، فأبدعوا فيها.

[1] - ناصر عبد الرازق، الموافي، أدب الرحلات عند العرب ، ص 60.

[2] - المرجع نفسه ، ص 61.

[3] - المرجع نفسه، ص 68.

ج- اللغة:

يلجأ الرحَّال إلى كشف حقائق عدة: منها معرفة طبائع البشر، وقد كان «هدف تدوين الرحلات الوصول إلى حقيقة الإنسان، ووضعه في الكون فنجاح الكاتب مرهون بتوضيح هذا الجانب كما يراه، أما البناء المنطقي فهو خير وسيلة لتحقيق الهدف، وهذا البناء يبدأ من الوحدات الصغيرة المتمثلة في الكلمة والعبارة والفقرة، ليربط بين أجزائه، ويسد ثغراته... وقد صمم كتاب هذا النوع على استخدام الجمل القصيرة التي لا تلتزم بالأنماط التقليدية، والتي تتسم بروح الفكاهة، محاولة أن تكون صادقة ودقيقة ومعبرة عما يجول بنفوسهم. وما يشاهدون مع اعتقادهم الجازم بأن الوصف لا يستطيع نقل الحقيقة، لقد تساءل رحال عما إذا كان ممكنا وصف المشاهد واللوحات التي رآها، وكانت إجابته: « لا... لا يوجد وصف يحيط بها فهي ليست مجرد شكل أو صورة تشاهد، إنما هي إحساس... مذاق... طعم... رجفة في القلب».[1] يذهب الرحال إلى استخدام الجمل ذات الأفعال الدالة على الحيوية والحركة والاستمرارية، ويبتعد كثيرا عن كلام المسجوع أو الأسلوب المتكلف، وإنما يعتمد على الاسترسال والتلقائية في كلامه من أجل التواصل بينه وبين القارئ وهذا ما يميز النثر على الشعر، حيث أن «خصائص النثر أهلته لأن يكون أداة أدب الرحلة، فوظيفته تتفق ووظيفة أدب الرحلة، فالأدب ليس مجرد إمتاع، وإنما هو كشف للحقائق، ونفاذ إلى أسرار الحياة والكون، فغاية النثر هو الحوار على مستوى البشرية والمساهمة في إثراء الحضارة وتراث الإنسان».[2] يلجا الرحالة في تدوين رحلاتهم إلى الاعتماد على أسلوب واضح قريب من النفوس، يكشفون به حقائق الخلق، ويقدمون لمحات عن ثقافة عدة مجتمعات عربية وغربية ونذكر من هؤلاء الرحالة أهمهم ابن حمادوش الجزائري، وابن خلدون ...

## 6- أهم الرحالة المغاربة وأشهر رِحْلاتهم:

### 6-1- ابن حمادوش عبد الرزاق (1205هـ - 1791م)

هو عبد الرزاق بن حمادوش، المولود بمدينة الجزائر من أهل القرن الثامن عشر الميلادي، توفي والده وهو لا يزال صغيرا تعلم بمسقط رأسه، فحفظ القرآن الكريم وبعض العلوم الشرعية،[3] تحدى

[1] - ناصر عبد الرازق، الموافي: أدب الرحلات عند العرب، ص75.

[2] - المرجع نفسه، ص76.

[3] - مسعود كواتب ومحمد الشريف سيدي موسى، أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص13.

ابن حمادوش الصعوبات رغم وفاة سنده، إلا أنه لم يعجز، فتعلم من العلوم الشرعية وفنون اللغة العربية ما يناسبه في سن مبكرة، وأكمل دراسته العليا معتمدا على الرحلة العلمية، وثابر وحقق طموحاته بفضل إرادته القوية.

«ولقد ألف كتبا ورسائل وشاهد حوادث معتبرة في العهد العثماني، ولد بالجزائر سنة (1107هـ - 1695م) وكانت أسرته بارعة في الصناعة التقليدية، إلا أنه مال إلى الأدب والعلوم في سن مبكرة، تعلم أولا في أسرته ثم أخذ عن بعض العلماء الكبار ...، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى، وبعد ذلك إلى تونس وإلى المشرق حيث استكمل دراسته، وقد أخذ الطب على العلامة "عبد الوهاب الأدرق" الطبيب الخاص للسلطان مولاي إسماعيل وكان ذلك بفاس، وتفرغ للتأليف والتنقل ففتح مكتبة قريبة من المسجد الكبير...».[1] واعتمد على قدراته الخاصة و لم يقبل بالعمل لدى الدولة بل فضل العمل عن طريق التجارة وأعطى أهمية بالغة وعناية كبرى للتجارة العلمية، واهتم أيضا بالجانب الطبي وبالأعشاب خاصة وركب الأدوية بنفسه، فهو صيدلي وطبيب وفلكي ومنطقي، واهتم أيضا بالفقه والنحو والأدب أما بالنسبة لأدب الرحلات، «فتشهد رحلته انه كان رحالة كثير الاهتمام بطبائع الناس وغرائب الأشياء، دقيق الملاحظة، لو عثرنا على آثاره الأخرى أو بعضها لتكشف لنا منه شخصية قليلة الوجود في ذلك العصر».[2] وعبد الرزاق شخصية مميزة اهتم بمجالات عديدة كالطب والعلوم والفقه والأدب، أولى عناية بالغة بطبائع البشر، وركز على العجيب والغريب منها، تميز بدقة ملاحظته للأشياء.

### 6-1-1- أشهر رحلاته:

تعتبر رحلات عبد الرزاق جزءا من التراث الجزائري، حيث نجده يهتم بعادات وطبائع الناس وتحدث عن "عادة المولد النبوي في فاس والجزائر" يقول: «وفي ذهابي له لقيت الطبالين والعياطين وآلات الطرب كلها في السوق، ذاهبين بأربعة قباب من شمع، وكل واحدة من لون، أحدها خضراء وأخرى بيضاء وأخرى حمراء والرابعة نسيت لونها، مما يجعلها عندنا في الجزائر »[3]، اعتمد

---

[1] - أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة، معجم مشاهير المغاربة، (د.ط)، منشورات جامعة الجزائر،الجزائر، 2007، ص 138 – 139.

[2] - عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسمّاة: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 2007، ص 9 – 10.

[3] - المرجع نفسه، ص 84.

عبد الرزاق في سرد رحلته إلى فاس ووصف عاداتها هي والجزائر على تصوير نظمهم وأذواقهم في الاحتفالات، فوصف لنا أصحاب الطبول وآلات الموسيقى في السوق العام وهم محتفلين أشد الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف، ورمزوا للاحتفالية أنذلك بالشموع الملونة بنفس الألوان المتواجدة في العلم الجزائري.

**أ- رحلته إلى فاس ووصفه لعادات الطعام واللباس:**

يقول:«ومنها أن عاداتهم يأكلون في يوم العنصرة أذناب الضأن بالقرفة و الكسكس، وهذا أكل غالب أهل فاس وأما البراني فلا أدري. ومنها أن رجالها لا يتعممون إلا القليل وأن نساءها لهم عمائم كبار إما من حرير فثمانية عشر ذراعا بذراع آدم المعلوم في الأسواق، وأكثر ... أو يتعممون بالشاش الهندي... ».[1]

لقد وصف ابن حمادوش عادات غريبة لأهل فاس، فكانوا يأكلون ذيل حيوان الضأن بالقرفة والكسكس ويعتبرونه كقطعة لحم مميزة.

**ب- رحلاته إلى تطوان ووصفه لعيد الأضحى:**

حيث كان كثير التنقل والترحال فيقف عند كل مكان ويصف ما شاهده هناك فيقول:

«وفي يوم السبت صنع عيد الأضحى بغتة، كان مطر غزير وسحاب ليله ونهاره إلى الضحى أتت بينة من طنجة فصنع العيد وذهبنا إلى المصلى فخرج قائدهم في جماعته وبين يده حربة عالية وطويلة جدا وأمامه نحو ألمائتي مسخر حاملة المكاحل كلها، وهم يرمون، ومعه نحو الخمسة فرسان أو نحوها، فصلينا والمطر نازل علينا، خارج البلد، وخطب بنا إمام نسيت اسمه، ... فرجعنا ومؤذن الزوال يؤذن، ولو لم يكن المطر لأذن ونحن بالمصلى».[2] لقد وصف ابن حمادوش الموقف حينها فكان المطر غزيرا، إلا أنهم تمسكوا بصلاتهم وأدوها على أكمل وجه، وهذا يبين لنا الأثر الديني فيهم من الناحية الإيجابية في نص الرحلة أما من الناحية السلبية فنلاحظ أن نصه مليء بالاستطراد.

[1] - عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري ،رحلة ابن حمادوش الجزائري المسمّاة: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، ص 94.

[2] - المرجع نفسه، ص 107.

### 6-1-2- من أشهر نوادره:

قصة طفيلي يقول: «ذكر عبد الرحمن بن عمر الفهري عن رجال سماهم، قال: أمر المأمون أن يحمل إليه من أهل البصرة عشرة رجال سماهم كانوا قد رموا بالزندقة عنده فحملوهم، فبينما احد الطفيليين يتردد إذ رآهم مجتمعين يمضي بهم إلى الساحل للمسير إلى بغداد، فقال: ما اجتمع هؤلاء إلا لوليمة، فانسل معهم ودخل في جملتهم، ومضى بهم المتوكلون إلى البحر فأطلعهم في زورق قد أعد لهم، فقال الطفيلي لا شك أنها نزهة، فصعد معهم فعلم انه قد وقع في ورطة ورام الخلاص فلم يقدر ثم رفع الرجال وساروا إلى أن وصلوا بغداد... فدخلوا على المأمون وأمر بضرب رقابهم فاستدعوا بأسمائهم رجلا رجلا... ولم يبقى إلا الطفيلي... فقال له المأمون: ما قصتك ويحك؟ قال: رأيتهم مجتمعين فظننت أنهم يدعون إلى وليمة. »[1]، نتج من هذه النادرة أن الطمع عواقبه وخيمة، فالطفيلي انقاد نحو طمعه و لم يفكر بمصيره.

### 6-2- رحلة ابن خلدون:

هو الفقيه الأديب والفيلسوف، ومن أشهر الرحالة العرب، واضع الأسس والمبادئ الأولى والمؤصل لعلم الاجتماع، و عرف بالطموح الكبير حتى أبدع في مجالات عدة كالطب والصناعة والحياكة وغيرها.

ولد عبد الرحمن أبو وليد الدين ابن خلدون بتونس، في رمضان سنة (732هـ - 27 مايو سنة 1332م) وهو ينتمي لأسرة أهل حضرمي، انتقلت إلى الأندلس والمغرب مع الفتح العربي لهذه البلدان.[2]

لقد عرف ابن خلدون بحبه الشديد للسياسة ونيل مراتب عليا وهذا الطموح قد ساعده في تحقيق أفضل الأماني، فحذاقته ولدت له أصدقاء في كل مكان وساعدته للوصول إلى مبتغاه، وعلى سبيل هذا الكلام نجده يعترف ويقر بذكائه، أثناء كتابته عن السلطان أبي عنان.

---

[1] - عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري ،رحلة ابن حمادوش الجزائري المسمّاة: "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" ، ص 177 – 178.

[2] - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 529 – 530.

يقول: «لم أزل منذ نشأت، وناهزت مكبا على تحصيل العلم، حريصا على اقتناء الفضائل متنقلا بين دروس العلم وحلقاته، إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب بالأعيان والصدور وجميع المشايخ، وهلك أبواي رحمها الله، ولزمت مجلس شيخنا أبي عبد الله الأبلي ... ».[1]

ابن خلدون من الشخصيات الطموحة التي تنهض وتتعثر لأجل التزود بالعلم وهو خير زاد فكان يحرص شديد الحرص على مجالسة الأخيار والمشايخ، وذلك رغبة منه في تنمية قدراته الذهنية.

«لقد نوه بأهمية الرحلات، فأورد ذكرها في مقدمته الشهيرة، إذ قال: والرحلة لابد منها في طلب العلم، ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال».[2] نلاحظ أن ابن خلدون اهتم بالسعي نحو طلب العلم والاستفادة من كبار العلماء، إذا كانت الرحلات نحو بيت الله الأكثر تشويقا ، رغم اختلاف العصور إلا الرغبة ما زالت واحدة.

### 6-2-1-أشهر رحلاته:

#### أ- رحلته إلى الأندلس:

لقد قدم لنا سرد موجز وملم بأحداث وتفاصيل رحلته فيقول: «ولما أجمعت الرسالة إلى الأندلس، بعثت بأهلي وولدي إلى أخوالهم بقسنطينة، وكتبت لهم إلى صاحبها السلطان أبي العباس، من حفدة السلطان أبي يحي، وأبي أمر على الأندلس، وأجيز إليه من هنالك، وسرت إلى سبتة، فرصة المجاز، وكبيرها يومئذ الشريف أبو العباس، أحمد ابن الشريف الحسني، ذو النسب الواضح...، وكان بسبتة عبد الله بن علي الوزير، واليا من قبل السلطان أبي الحسن فتمسك بدعوته، ومال أهل البلد إلى السلطان أبو العنان»[3]، لقد سرد لنا سيرة رحلته وعرضها لنا بطريقة مبسطة وواضحة تبين طبيعة أسلوبه.

[1] - عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، (د.ط)، عاصمة الثقافة العربية ،الجزائر، 2007 ، ص 57.

[2] - عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص407.

[3] - المرجع السابق، ص 83.

**ب- رحلته إلى تونس:**

«و لحق بتونس سنة 64 و نزل على السلطان أبي إسحاق و صاحب دولته المستبدة عليه أبي محمد بن تافراكين، فأكرموا نزوله، وولوه الخطابة بجامع الموحدين بتونس و أقام بها إلى أن هلك السلطان أبو إسحاق سنة سبعين، و ولي ابنه خالد و زحف السلطان أبو العباس، حفيد السلطان أبي يحيا، من مقره بقسنطينة، فملكها و قتل خالدا، سنة اثنين و سبعين ».[1] نجده يصف لنا رحلته وأماكن مرّ بها وهو متحمس، إذ يركز عليها ويسمي سلاطينها وما وجد فيها دون كلل أو ملل بل برحابة صدر.

## 3-6- ابن رُشَيْد: (657هـ - 1321م)

لقد نشأ ابن رشيد في عائلة تبلغ من العلم والنباهة قدرها وهذا ما ساعده في حياته إذ يعود «أصله ونسبه إلى الفهريين، وهم بطن من كنانة التي يرفع نسبها إلى مضر وهي جماعة كبيرة ومشهورة، يعود أصله إلى الأندلس فيرجع إلى شلب أو إحدى جهاتها».[2]

### 6-3-1-مولده ونشأته ودراسته:

يذكر ابن حجر في ترجمته له أنه ولد في جمادى الأول سنة 627هـ، أما مكان ولادته فهو سبتة، وفيها بدأت نشأته العلمية، إذ درس فيها على أبي الحسين ابن أبي الربيع النحو والعربية والقراءة، وأخذ عنه ما يأخذ طلاب العلم في سنه، أما عن نبوغه في العلوم، فكانت منذ نعومة أظفاره، وكانت رحلته عبارة عن دائرة شاملة لشتى العلوم.

لقد اشتهر ابن رشيد بفطنته وذكائه من صغره، وهذا ما جعل منه شخصية بارزة، إضافة إلى الجو العائلي المتعلم الذي نشأ فيه ساعده على تطوير خبراته ومكتسباته أكثر.

«ولم يكتف ابن رشيد بما حصله في المغرب من علوم فرحل إلى المشرق، حيث التقى عددا كثيرا من المشايخ والعلماء والأدباء الذين ذكرهم في رحلته وجمع عددا وافرا من الاجازات في العلوم المختلفة، وبعد عودته من رحلته لهدف التدريس في بلده سبتة، فدرس الفقه والحديث، ثم تولى الخطبة بجامع غرناطة، واشتهر بين الناس فاستدعاه السلطان إلى المغرب وعينه إماما وخطيبا

[1] - عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلاته غربا وشرقا، ص 55.

[2] - أبي عبد الله محمد بن عمر، رحلة ابن رشد السبتي، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003، ج1، ص 60.

للجامع العتيق بمراكش ثم استقدمه إلى فاس وجعله من خاصته إلى أن توفي في 22 محرم سنة721هـ/1321م».[1] عرف ابن رشيد بحبه وشغفه لمعرفة شتى العلوم والبحث عن الزاد المعرفي حتى أنه لم يكتف بما هو موجود في المغرب بل سافر باحثا ومنقبا في بلاد المشرق عن كل ما هو مفيد من العلوم، وبعد عودته اغتنم وقته في التدريس والخطبة وغيرها.....

**6-3-2-أشهر رحلاته:**

تعد رحلته هذه المسماة "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة" وتعد من أشهر رحلاته، أما عن زيارته لقبور الأئمة يقول: «وزرنا بالإسكندرية قبر الإمام الزاهد المحدث أخر الحفاظ وبقية المحدثين أبي الطاهر السلفي داخل باب الأخضر على مقربة منه، وله سنام كبير عالٍ، وعلى مقربة منه قبر الزاهد الإمام أبو بكر الطرطويش –رحمه الله- وعلى قبره مكتوب: توفي الإمام الزاهد أبو بكر محمد بن الوليد الفهري في جمادى الآخره عام عشرين وخمس مئة. وبمقربة من الجدار الغربي قبر يقال: إنه قبر عبد الرحمن بن هرمز الأعرج –رحمه الله-»[2]، لقد كانت رحلته إلى الإسكندرية زيارة لقبور الأئمة ووصف لنا المنظر هنالك، وكيف كتبت أسماء هؤلاء الأئمة على قبورهم وذكرهم بالواحد.

**أ- زيارته لعرفة والوقوف بها :**

يقول: «ورأينا في تلك الليلة عجبا فيما ابتدئ العامة من الاستعداد والاحتفال بوقد الشمع بطول تلك الليلة بالجبل القائم في وسط عرفات المعروف عند العرب القدماء بالإلال وهو جبل مرتفع في أعلاه مسجد، تنصب به رايات أمراء الركب وقد صنع له درج بالبناء من أمامه ومن خلفه، فيرتقى إليه عن طريق، ويترل من أخرى وربما التقى فريق مع فريق فيغص الجبل بالصاعدين و النازلين ... حتى تراه كشعلة واحدة وما يطول من الشمع كأنه ألسن متعاضدة، فترى عجبا، صلدًا عاد ذاهبا أو صار لهبا»[3]. لقد وصف لنا ابن رشيد فرحة الحجاج بيوم عرفة وكان التعبير عن هذه الفرحة إشعال الشموع و هي عادات تتجلى بكثرة عند معظم الحجاج، و أكمل تصويره

[1] - علي إبراهيم كردي: أدب الرحل في المغرب والأندلس، ص 46.

[2] - المرجع نفسه، ص 54.

[3] - المرجع نفسه، ص 56.

لموضع الجبل المرتفع الذي تتهافت عليه النفوس للوصول إليه، فنلاحظ أن هنالك فريقين منهم فريق يصعد والأخر يترل بحيث يلتقيان في نفس المعبر وأصواتهم تتصاعد من شدة الموقف.

### 6-3-3-منهج ابن رشيد في رحلته:

لقد كان ابن رشيد شخصية محبة لمجالسة المشايخ وكبار العلماء والنهل منهم في «كل مدينة كان يحل فيها، اكتسب من ذلك علما واسعا، قراءة وسماعا ورواية ووقف على أمهات الكتب الحديثة وكتب العربية وقد جرت بينه وبين كبار العلماء محاورات ومناقشات علمية عديدة، ومطارحات أدبية، وكانت اهتمامه بهذا الجانب من رحلة مهيمنا عليه، فلا نجده يصف المعالم والآثار إلا لمامًا، وبقدر الحاجة، بل كان جل انصبابه على ملاقات الرجال وزيارة العلماء والمحدثين والرواة في مجالسهم، وقد استعار منهم طريقتهم في الضبط، فتجلى ذلك في الأسانيد التي رواها عن الشيوخ في رحلته».[1] اعتبرت مجالسة ابن رشيد للعلماء، وكبار المشايخ من أسمى المجالسات، فابتعد عن وصف المدن وآثارها، وركز على طريقة المحدثين والنهل من كبار العلماء، وهذا ما ساعد على نمو ذاكرته وحذاقته في شتى المجالات، فالنهل من كبار المشايخ ثمرة لم يعرفها معظم الباحثين إلا من تذوقها وعرف قدرها.

### 6-3-4-أسلوبه في الرحلة:

«يتراوح أسلوبه في رحلته بين الأسلوب المرسل، والأسلوب المتصنع الذي يكد فيه المؤلف ذهنه لإنشاء الجمل والعبارات المزخرفة بأنواع المحسنات البديعية، ويسود الأسلوب المرسل عندما كان يتناول بعض الأمور العلمية والمناقشات الفقهية الحديثة، في حين كان يتألق في عباراته عندما كان يترجم لشيخ من الشيوخ، أو يصف بلدًا أو متنزهًا».[2] نجد أسلوبه في الرحلة يتراوح بين المتصنع والمرسل، فكان يوظف زخرف العبارات من محسنات بديعية وغيرها، وهذا ما جعل أسلوبه يختلف عن غيره من الأساليب.

[1] - علي إبراهيم كردي: أدب الرحل في المغرب والأندلس، ص49.

[2] - المرجع نفسه، ص 51.

## II- الرحلة في العصر الحديث:

تعتبر أوروبا من أهم الدول المكتشفة للعديد من الأماكن والمدن، إذ يعود الفضل في اكتشافها إلى الرحلات البحرية والبرية والجوية، ولقد « تعددت الرحلات البحرية خصوصا منذ عصر الأمير "هنري الملاح"(1395م – 1462م) وشهدت أوروبا منافسة كبيرة في الملاحة البحرية والسبق في اكتشاف الأماكن والأقوام، ومع ذلك لم تتوقف الرحلة البرية، بل نشطت أيضا وأصبحت موازية للرحلة البحرية، وقد ساعدت هاتين الرحلتين في نشاط الاستعمار الذي بلغ أوجه في القرن التاسع عشر حين اتسعت القاعدة الاقتصادية في أوروبا، وازدهر التبادل التجاري، وظهرت الرأسمالية الحديثة، الأمر الذي كثف من نشاط الرحلات بغية الكشف والتوسع الإقليمي، وبهذا لعبت الرحلات دورًا هامًا في تزويد الفكر الأوروبي بالمعلومات المفيدة والمثيرة عن العالم».[1]

لقد ظهرت فن الرحلات في العصر الحديث كشكل فني ضمن الأدب فكان الدافع والمساعد الرئيسي لتطوره هو التجارة، فتح أسواق عالمية لترويج المنتجات، وساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في نماء الشكل الأدبي وشهرة العديد من الرحالة، «حظي الرحالة أنفسهم بمكانة خاصة، ولقد ساعد اختراع الطابعة على نشر كتاباتهم وقد تم تداولها بين الناس، وكسبها لشعبية كبيرة بين القراء على كافة المستويات، فقد ساعد ذلك في تقدم وسائل النقل بدخول أوروبا عصر الآلة البخارية، علاوة على ما حظي به الرحالة من التسهيلات وحماية الإداريين الأوروبيين في الأراضي الواقعة تحت الاستعمار ومع ذلك لم تخل رحلاتهم من الصعاب».[2]

إن التطور الذي ظهر في أوروبا، كان له دور بالغ في تفشي وانتشار كتابات الرحالة، وبذلك ذاع صيتهم وزادت مكانتهم، عما كانوا عليه من قبل، فأثر التكنولوجيا الحديثة، كان قويا مما ساهم في نشاط الرحالة واتسعت معارفهم بالعالم والإنسان.

« إن تطور وسائل النقل وازدياد السرعة وسيلة قد جعلت العالم صغيرا ومترابطا أيضا، وهكذا لم يعد سفر اليوم كشأنه بالأمس، كما لم يعد رحالة اليوم مثل الرحالة القدامى».[3] واختلف معنى الرحالة قديما وحديثا، فسابقا كان ذو شخصية مغامرة شغوفة موهوبة مولعة بحب الجديد

[1] - حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، ص32.

[2] - المرجع نفسه، ص33.

[3] - المرجع نفسه ، ص 34.

والاكتشاف أما الآن، فانقلب الأمر كثيرا عن قبل حرم الرحالة من المغامرة والكشف وحب الإطلاع.

إن ما يجلب ويلفت انتباهنا هو كشف الرّحالة لعديد من الأماكن والتجوّل في الطبيعة والتعرّف على فضاءاتها الدّاخلية والخارجية.

«واصل الإنسان الرحلة باستحداث نوعية جديدة من الرحلات ذات أهداف جديدة أيضا، نذكر في هذا المجال وبصفة خاصة رحلات الفضاء التي تشكل حدثا إنسانيا عظيما وتحولا كبيرا في تاريخ الرّحلات منذ منتصف القرن العشرين حتى وقتنا الحالي وعلى قدر المحاولات العديدة للخروج من الغلاف الجوي للكرة الأرضية إلى أجواء أخرى، وذلك في رحلات متعدّدة، بواسطة فرد أو مجموعة من الأفراد بواسطة مركبات الفضاء إلا أنّ الرحلة إلى القمر، والوصول إليه والسير على سطحه نقطة انطلاقة جذرية لرحلات فضاء أخرى أكثر إثارة»[1]، لأن الإنسان بطبعه كائن فضولي، محب للتطلع نحو معرفة أسرار العالم فبحث في الأرض واكتشف أساليب وطرق عيش جديدة، ولم يكتفي من الأرض برًا وبحرًا فصعد إلى الفضاء الخارجي بواسطة مركبات الفضاء، ووطئ القمر بقدميه، لكنّ شغفه ازداد أكثر ممّا كان عليه.

«لا يقتصر الأمر على رحلات الفضاء بل التفت الإنسان أيضا إلى أعماق البحار، وبدأت الرحلات، لكشفها وتعدّت البعثات العلمية لدراستها، إضافة لتلك الرّحلات برز نوع جديد من الرّحلات التي تسميها الرحلات التحقيقية أو التوثيقية، وهي رحلات تهدف إلى دحض أو إثبات فرضية تاريخية معينة»[2]، لم يكتف الرّحالة من معرفة الأرض، بل اضطرّوا إلى الغوص وتنقيب أعماق البحار بحثا عن جديد، إذ لم يقتنعوا بمتطلّبات الحياة، بل ذهبوا وانحازوا نحو كل ما هو صعب وخارق للعادة.

### 1- علاقة أدب الرحلة بالرواية:

يعتبر أدب الرحلة من الآداب القديمة التي وجدت منذ وجود الإنسان، فكانت رحلات الأنبياء بداية لهذا الأدب كرحلة سيدنا آدم ونوح عليهما السلام وسيدنا موسى

[1] - حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص35.

[2] - المرجع نفسه، ص36.

وغيره، ومن ثم اعتبرت «الرحلة عموما من أولى الأشكال التعبيرية التي استعملت فيها الكتابة بضمير الأنا دون تحرّج، ومن الأشكال التي تطرح فيها باستمرار، صورة الآخر، ممّا يستنتج معه أن الرحلات العربية قبل القرن الثامن عشر تهتمّ –في العموم- بالتوجّه نحو الأراضي المقدسة والأماكن الزيارية، فيما باقي النصوص السفارية أو السياحية التي زارت أراضي غير عربية شكّلت صورا حاضرة للآخر الأجنبي »[1]، لقد كانت الرحلة في السابق ذات أغراض وأهداف تعلّمية، يقصدها الرحالة لنيل درجات أسمى أو مكانات أرقى أو التزود بكم هائل من العلوم والمعارف حيث كان الرحالة شغوفين بالتجوال والتنقل من مكان إلى آخر والحرص الشديد على ما لاحظوه وشاهدوه من رحلاتهم، فكانوا يدونون في مذكرات أو يوميات أو يحفظونه في الذاكرة، وقد وصلنا القليل من كتب الرحلات والبعض الآخر اندثر جرّاء نسيان أو إهمال أو ضياع أو غيره... أمّا الشيء الذي وصلنا فكان عبارة عن مادّة خام تصف لنا أحوال الشعوب وعاداتهم ومعتقداتهم وهذا الوصف يشترك مع جنس الرواية، بحيث «لا توجد رواية تخلو من الوصف لأن الوصف أكثر لزوما للنص من السرد، ذلك لأنه أسهل علينا أن نصف دون أن نحكي، من أن نحكي دون أن نصف»[2]، بحيث نجد في معظم النصوص الأدبية من رحلات وروايات يغلب عليها الأسلوب الوصفي والسردي، وذلك قصد إيصال الفكرة ورسمها لنا بطريقة أو أخرى، إذ تعدّ الرواية «جنس مختلط حسب العبارة الموروثة عن العصور القديمة، ففي الرواية يتناوب سرد الأحداث ....»[3]، فالرواية تضمّ نصوص من الرّحلات لأشخاص واقعيين وأحداث حقيقية حدثت على أرض الواقع.

حيث تشترك الرواية مع الرحلة بكونهما يدرسان الجانب الاجتماعي للإنسان ولقد «اعتبرت الرواية الجنس المعبر عن حياة الشعوب المختلفة في تباين رؤاها وشواغلها وطرائق معاشها».[4]

---

[1] - حليفي شعيب ، الرحلة في الأدب العربي، ص06.

[2] - موفق رياض مقدادي، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، مجلة عالم المعرفة، ع 392، يناير 1978، ص 125.

[3] - برنار فاليط، النص الروائي تقنيات ومناهج، تر: رشيد بن حدّو، د ط، المشروع القومي للترجمة، باريس، 1992، ص 126.

[4] - الصادق قسومة، الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث، ط 1، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000، ص 15.

وظفت شخصيات شعبية أو شبه شعبية قريبة لواقع الإنسان ومعبرة عن فئة من الناس أو طبقة من الطبقات المعينة، وتحاكيها بأسلوب نثري محض قائم على التقرير والتفصيل، بذلك مشكلة عقدة وتستدعي حلاً أو خلاصًا أو انفراجًا من الروائي، أما الرحلة فهي«نص مفتوح على كافة الحقول بأشكال مكتملة أو جزئية فهي بناء يتناسب ويتشكل باستمرار»[1]، وبهذا نستنتج أن أدب الرحلة يتلاقح وأدب الرواية فهما مكملان لبعضهما البعض، بحيث تعد أحداث الرواية، «مدار الرحلة تقوم بها الشخصية المحورية لزيارة المدن قصد معرفة حقيقية لها»[2]، فتقوم بوصفها وإعطاء صورة عامة أو خاصة عنها، وتبحث في خبايا هذه المدن وتحاول كشف واقعها كما هو، لكن تقدمها لنا بطريقة مثالية، حيث أن «الرواية تختلق الأحداث التي ترويها لنا ولا يمكن أن نطبق عليها الوقائع الخارجية الفعلية، ولذا فالرواية هي أفضل الأجناس الأدبية لدراسة كيف تحول الواقع إلى خيال، وهي تعتبر بحق مختبر السرد الروائي للأحداث ».[3] بحيث تعتبر الرواية الجنس الأدبي المعبر بأسلوب التخييل، فتروي لنا أحداث قد تكون من أرض الواقع، أو من صنع الخيال كروايات الخيال العلمي مثلا، أو الروايات البوليسية فتلفت انتباه القارئ وتثير فيه التشويق والإثارة والمتعة كذلك، أما أحداثها فهي مشوقة أكثر من الأحداث الواقعية، والشخصيات الخيالية في الروايات تملأ فراغات وتضيء بعض الجوانب في حياتنا.

## 2- الرحلة بوصفها جنسا أدبيا:

لقد واجه النص الرحلي صعوبات في كونه جنسا أدبيا، وقد اعتبر منفتحا على غيره من النصوص من خلال بنية السفر والعديد من الخلفيات، وقد عرف بـ :

### 2-1- الانتساب المنفتح:

ينتسب النص الرحلي إلى التراث النثري بشكل عام باعتباره سردا ووصفا يعمدان إلى صياغات مشاهد رئوية أو مروية تنبع من الذاكرة أحيانا،«وتنسب الرحلة إلى العلوم الإنسانية لأن الرحلة و بحسب أصنافها لا تخلو من سرد ووصف وتعليق من "الأنا" المحركة لهذه المشاهد وهو ما

[1] - حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، ص07.

[2] - الصادق قسومة، الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث، ص150.

[3] - ما لكوم براد بري، الرواية اليوم، تر: أحمد عمر شاهين، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997، ص44.

يجعل التسمية مفتوحة على احتمالات التنويع»[1] بحيث يعتمد نص الرحلة على الأنا والأخر والعلاقة الرابطة بينهما، والخطاب الموجه لكل من الطرفين، وهذا ما يجعل التواصل مستمر من خلال التراكمات التي خلفتها الحتميات الثقافية والحضارية والتاريخية.

### 2-2- الوعي بالرحلة نصًا وخطابًا:

«فحينما يختار الرحالة تجربته الشخصية في قالب سردي يروي مشاهد الانطلاق والوصول فهو يؤكد تشبثه بأسلوب معين دون غيره، وقد تراوح الوعي بالرحلة عند الرحالة الذين نقلوا تجاربهم الرحلية بشكل فردي أو جماعي برغبة أم بدونها، في مهمة للغير أو لحسابهم الخاص، بوعي يبحث عن الرحلة المطابقة للواقع».[2]

لقد كان الرحالة يرسمون بدايات رحلاتهم ونقاط الوصول أو النهاية، وذلك باستخدام تقنيات وأساليب تساعدهم وقد كانوا يعملون و يرصدون مختلف النقاط الفاصلة في رحلاتهم ويقفون عندها.

### 2-3- دائرة التخصيب:

**ينفتح** النص الرحلي ضمن دائرة متعددة المنافذ على أشكال أدبية وغير أدبية يتفاعل معها في **تعزيز نصيته**، «فتأتي قدرته على التكيف ونقل السرد من الرتابة إلى التجدد والمفاجأة بفضل تنوع الأشكال داخل دائرة متحركة ومرنة تطبع النص بتلوينات منسجمة وقد وجد النص الرحلي مع مجموعة من الأشكال الأخرى في لحظة البحث عن خصوصية ثقافية، فتفاعلت السرود و أصبح تفاعلها كصفات وبنيات صغرى تدعم البنية الرحلية»[3] ظهر في:

#### أ- السيرة:

«هي ترجمة أو تأريخ لحياة الفرد (المؤلف) عن طريق حكي استرجاعي يخص فترة **السفر** المحددة ويتعلق الأمر بالتدوين، فالسيرة الذاتية إنما هي رحلات فكرية في الوجود المادي

---

[1] - حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، ص37-38.

[2] - المرجع نفسه، ص42.

[3] - المرجع نفسه، ص48.49.

والروحي»[1]، و يقوم الرحال بسرد مجرى حياته مع التحفظ على بعض الأسرار لنفسه، و يروي تجاربه الناجحة أو الفاشلة التي صادفته في حياته اليومية.

### ب- التراجم:

«يرجع الباحثون وفرة مؤلفات التراجم إلى بواعث دينية وفكرية في إطار الالتفاف حول القرآن الكريم والحديث والتفسير.»[2]، بحيث يمثل تركيز المسلمين على اهتمامهم بالحديث والفقه العامل الأول على ظهور التراجم، وقد ظهرت في رحلات الحج بكثرة.

### ج- التاريخ:

«الرحلة ولدت في حضن التاريخ والجغرافيا، وحينما صارت قائمة بذاتها، لم تنفصل عن مصدرها وإنما حولته إلى عنصر جوهري حتى أنه يمكن اعتبار كل ما يكتب تاريخا بشكل ما، فلم تسلم الرحلات من اللجوء إلى التاريخ والاستشهاد بفقرات طويلة منه»[3]، بحيث كشفت الرحلات عن عدة حضارات وصورت لنا حياة السابقين ووصفت لنا تقاليدهم ومعتقداتهم وطباعهم والخرافات التي كانت سائدة في عصرهم، وأيضا وصف لنا الرحالة سيرتهم وفتراتهم التاريخية أثناء تنقلهم من مكان لأخر، وحددوا لنا الرقعات الجغرافية التي تواجدوا فيها.

### د- اليوميات:

«الرحلة في عمقها هي مذكرات و يوميات يدونها الرحال حول رحلة قام بها في الواقع وتكون ذات أسلوب متقاطع ومندمج مع أساليب اليوميات والمذكرات والاعترافات»[4] ، إذ يقوم الرحالة بتدوين رحلاتهم مع ذكر التواريخ المفصلة على حسب عدد الأيام، ويمكن أن تكون أيام متسلسلة أو متفرقة عن بعضها، ومضمونها هو الكشف عن ما شاهده الرحالة.

---

[1] - حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي ، ص50.

[2] - المرجع نفسه، ص53.

[3] - المرجع نفسه، ص56.

[4] - المرجع نفسه، ص65.

### 3- أدبية الرحلة:

لقد كانت لغة أدب الرحلة تكاد تكون شبيهة بلغة الحياة اليومية، وقد تضمنت العديد من «أجناس الأدب المختلفة كالرواية والشعر والقصة والأدب المسرحي وأدب الطفل والدراسات النقدية»:[1]

**أولا:** تتضمن بعض نصوص الرحلة أشعارًا كحلية أسلوبية، إشاعة لجو جمالي يضفي على النص جاذبية فضلا عن النصوص النثرية المختارة كالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

**ثانيا:** هناك نصوص للرحلة رفيعة المستوى جذابة الأسلوب تحفل بالجمال والخيال والعبارات المحلقة ذات القدرة على الإقناع والتأثير مثل ابن جبير.

**ثالثا:** تتفق كافة كتب الرحلة في الاعتماد على تقنية الوصف، لأنها المهمة الأولى لكتب الرحلة ووصف الرسوم، والحجر، و الطبيعة من أنهار وجبال وشروق الشمس وغروبها، وعادات الناس وغيرها.

**رابعا:** لا تخلو كتب الرحلة من الفكاهة والمرح والسخرية.

**خامسا:** تحفل كتب الرحلة بأسلوب القص فمنها الحقيقي ومنها الأسطوري المعتمد على السرد المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية، ولقد كتب الرحالة معظم نصوص رحلاتهم بلغة مثيرة وجذابة واصفين أماكن عدة وأحوال وطبائع الناس.

كل هذه الأجناس الدخيلة ضمن أدب الرحلة، أتى بها الرحالة، بالكاد دونوها لظروفهم الصعبة و تحملوا مفارقة الأحبة وابتعاد الأهل والترحال إلى أماكن بعيدة قاصدين بيوت علم أو مساكن جديدة أو أماكن تجارة، كل منهم ذهب حسب رغبته وحاجته للسفر.

[1] - محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة معجم بيبوجرافي، ط1، دوائر المعارف، القاهرة، 2007، ص 22-23.

## III- تداخل الأجناس الأدبية في الرواية الجزائرية المعاصرة:

هذا التداخل في الأساس يحمل في طياته تغيرات دائمة ومستمرة في الأشكال والأنواع، «انطلاقا من هذا التصور، قد يغدو في أي رأي أن هذا التغيير يمس الأجناس الأدبية بوصفها ظاهرة أدبية تخضع لقانون التطور و الارتقاء، إلا أن هنالك صنفين من الباحثين، الأول يرى أن الأجناس الأدبية تتطور وفي دورة الحياة وهو الناقد "فرديناند برونتيير، Ferdinand Brunetière "* في نظرية "تطور الأجناس الأدبية" وذهب إلى أن الأجناس الأدبية تولد ثم تنمو ثم تكبر ثم تشيخ ثم تموت وقد يلد عنها جنس آخر، والفريق الثاني يرى أن الأجناس الأدبية يجب أن تبقى رهينة أصولها، ولا يمكن لها أن تأخذ من بعضها خصائص الجنس الأخر».[1] نرى أن الفريق الأول كان يدعو إلى حوارية الأجناس بصريح العبارة أما الفريق الثاني يحرص على ضرورة الأجناس الأدبية على أصلها، وأن لا تتداخل ولا تتفاعل مع غيرها كي لا يحدث فيها غموض أثناء القراءة.

ويعد الأديب منتج العمل الأدبي، ففي اللحظة التي يكتب فيها يتصل بالآخرين فينتقل فعله من الإطار الجماعي أو الاجتماعي، فلو كان معزولا في حجرة لا يستطيع إلا أن يفكر في الآخرين ويحاورهم، بل إن حواره الداخلي مع ذاته يحاول أن يكتبه ويوجهه إلى الآخرين».[2] فالأديب عضو فعال يؤثر في مجتمعه ويتأثر بهم بطبيعة الحال، فيلجا إلى تحقيق التواصل مع القراء لإنجاح تجربته الأدبية من أجل الاندماج وسط المجتمع ومنذ «القرن التاسع عشر بدأ الروائي ينافس الشاعر المسرحي في تحليل المشاعر والأخلاق والعادات، وأصبحت الرواية شبيهة بالمسرحية التي تتوالد فيها الأحداث بشكل منطقي... ثم رأى الروائي أن من صلب عمله تصوير المناظر والمواقع التي تجري فيها الأحداث فعمد إلى التوسع في الوصف، وما يلفت الانتباه هو الانسجام العجيب بين الطبيعة والإنسان، وتأثير الأول في الثاني، ووصف أخلاق العصر وأداته».[3]

---

*فرديناند برونتيير Ferdinand Brunetière: ناقد فرنسي ولد في مدينة طولون Toulon، وتوفي في باريس. مارس مهنة التدريس في مدرسة المعلمين العليا Ecole normale supérieure في باريس ثم في جامعة السوربون بدءاً من 1886. وقد اشتهر برونتيير ناقداً مختصا بكتابة تاريخ الأدب وتاريخ النقد.

[1] - نبيل حدادا، تداخل الأنواع الأدبية، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص389.

[2] - شكري عزيز ماهي، نظرية الأدب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان، 2005، ص74.

[3] - أنطونيوس بطرس، الأدب، تعريفه – أنواعه – مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب،ط1، طرابلس، لبنان، 2005، ص161.

لقد أدى التوسع في الوصف وتحرير الرواية من كونها شبيهة بالمسرحية إلى بروز الرواية أكثر من خلال ترابط عناصرها وانسجام أفكارها وتعدد مواضيعها.

## 1- تشاكل الأجناس:

إن ملامسة هذا الجانب تقودنا إلى التفاعل الايجابي الذي يخدم النص، من الداخل دون الإخلال بوظيفته الإبداعية، حيث نجد الرواية هي الفضاء الأرحب لاستيعاب مختلف الأنواع الأدبية، وحتى الإيقاعية منها تقف فيها على ذلك التمازج الهادف بالأساس إلى خدمة الموضوع، ليرتسم في شكل عالم متكامل يجسد النسيج الحياتي القائم والحافل بكل تفاصيله وأبعاده على ركح المرونة والتجاوب الذي تحقق الرواية باعتبارها كوة تطل على جميع العوالم في ثوبها المزدان ببقية الألوان خدمة للغرض المنشود، «بما تتوفر عليه آليات البناء والتنوع التركيبي إلى جانب تعدد التمظهرات السردية التي ينهض بها الخطاب الروائي من داخل النص».[1] فنجد يد دخيلة للقارئ من خلال الحوارية النصية أو أثناء عملية القراءة، يندمج القارئ تلقائيا مع النص ويتفاعل معه بمجرد فك شفراته وتحليل عباراته وإذا «تأملنا إشكالية "الأجناس" وتداخلها وتفريعاتها إلى أنواع أدبية فهي لا تغدو أن تكون أنساقا سيميائية تستمد دلالتها من طبيعة اللغة التي تتألف منها، علما بأن الطبيعة التكوينية لتطور الأجناس تصفه "كريستيفا" بانه يحدث حدوثا لا وعيًا، ويخرق ثبات النسق اللساني، وتعدد مستوياتها داخل النصوص».[2] إن هدف النصوص هو الإطاحة بالدلالة وإيجاد معاني للألفاظ وهذا ما تبحث عنه اللغة من خلال صنع كم هائل من العلامات في قالب روائي يحكمه الحوار.

لكن تتعدد الأجناس وتتداخل في بعضها كما تحدث عليها "العسكري والباقلاني" وخاصة في النّص القرآني "تتعدّد أجناس القرآن الكريم وأنواعه (الخبر – المثل – القصة – الموعظة ...) لكن العديد من هذه الأجناس لا يتضمنها لائحته لأجناس الكلام العربي"، لقد اعتبر القرآن الكريم الكتاب الأول الجامع لهذه الأجناس وخاصة القصص القرآنية الكاملة الصفات، التي وصف الله عز وجل لنا كمية الشعوب والقبائل والأمم السابقة التي لم نعهدها من قبل.

[1] - نبيل حداد، تداخل الأنواع الأدبية، ص173.

[2] - المرجع نفسه، ص95.

فتداخل الأجناس الأدبية بعضها ببعض تعود لبراعة المبدع وحسن إبداعه، إذ لا نعني بها نفي فن على حساب فن آخر، لأن الفن متطوّر بطبعه دائما، إذ يعتبر كالكائنات أحادية الخلية ينقسم عندما يصبح ناضجا وينتج عن هذه الانقسام كائنات جديدة، لها صفات خاصة بها لكنّها تشترك مع غيرها بطبيعة الحال.

«إذ تتعلق مسألة الأجناس الأدبية بتصنيف الآثار الأدبية والنظر في تشكل جنس بعدد من النصوص المتآلفة والمتخالفة أحيانا، كما أنّها تبرز طبيعة التفكير الإنشائي.... وألوان التأليف الأدبي لدى أمة من الأمم، وتفتح آفاق التفكير في طبيعة الحضارة لدى هذه الأمة، على الرغم من تعدّد المحدّدات (البيولوجي والمحدّد المضموني والأسلوبي ومحدّد المشافهة والتدوين، ومحدّدات التلفظ) فإنّ المحدّد الأجناسي بدا عاجزا عن إعطاء التصنيف حقه من الضبط والحسم وجعل حدود بين أجناس الأدب لمنع التداخل بينها، وبالتالي ارتأى الدّارسون للأجناس محددا موسعا اصطلحوا عليه مزيجا أجناسيا ونصا جامعا يعبر عن الإتساعية النّصية... »[1]، وهذا ما يسمّى بالجامع النصّي والشامل للعديد من النّصوص المشابهة لبعضها والخادمة لمواضيعها أحيانا والمختلفة أحيانا أخرى وعلى الرغم من وجود الكثير من النقاد والأدباء الذين حاولوا الفصل بين العديد من هذه الأجناس، إلا النصوص تبقى خادمة لبعضها البعض والفصل فيها يبقى مسألة صعبة، وهذا ما يطرح إشكالا بحدّ ذاته ويجعلنا نتساءل هل عرفت الثقافة العربية تداخل الأجناس الأدبية؟

### ❖ مفهوم الأجناس الأدبية:

«إن الأجناس الأدبية تصنيفات معيارية وتنظيمية، تقوم على تقسيمات النصوص الإبداعية استنادًا على أدوات فنّية، شكلية في الأغلب هدفها الأساسي تحديد هوية معينة للنص الإبداعي... وقد تكون هذه الأدوات الفنّية المحدّدة للجنس الأدبي واضحة فاصلة مانعة، كما هو الحال في القصيدة الكلاسيكية، وقد تكون واسعة الأطياف وقابلة للنقاش كما هو حال في الرواية الحديثة أو القصة القصيرة »[2]، ولقد لجأ النقّاد ومعظم الأدباء إلى تجزئة النصوص وجعل خصوصية لكل نص، إلا أنّه تطوّر الحال وأصبح حديثا فكرة تجانس النصوص واختلاطها وتلاحقها فيما بينها لكي تحدث جمالية فنية، وتغيّر من نمطية النصوص السابقة والخالصة.

[1] - خديجة بصالح، "تداخل الأجناس الأدبية من منظور النقد العربي القديم (القصة أنموذجا)"، مجلة إشكالا في اللغة والأدب، الجزائر، ع 10، 2016، ص90.

[2] - المرجع نفسه، ص91.

## 2- الرحلة خطابا أدبيًا:

ولقد تطرّقت العرب سابقا إلى جنسين أدبيين، حيث «عرّفتهما الثقافة العربية **كمنظومة** أساسية للأجناس الأدبية، انقسمت في خطوطها الكبرى إلى نثر وشعر، وتضمنت في تقسيماتها الصغرى الشعر والقصة والخطابة والرسالة والوصية والحكمة والمثل، والحديث والنادرة والطرفة والمقالة، وتعدّ القصة واحدة من هذه الأجناس ودخلوها في الأجناس الأدبية الأخرى ممارسة تهدف إلى توسيع إمكانات هذه الأجناس عبر استعانتها بتقنيات نوع ما، لإثراء هذا الجنس المستعار له»[1]، لقد تعدّدت الأجناس وتفرّعت إلى أنواع أدبية وتشاكلت في بعضها البعض، وأصبحت هادفة إلى كلّ ما هو شمولي باحثة عن الإتساعية النصّية، «فتلك الأجناس التي تدخل إلى الرواية تحمل معها إليها لغاتها الخاصة، منضدة وحدتها اللسانية تنضيدًا تراتبيا، ومعمقة بطريقة جديدة تنوع لغاتها»[2]، بحيث تعطي دلالة وأثر جديد في الرواية، كلمسة فنية دخيلة تركب بين فنين أدبيين لهما صلة ببعضهما فكلّ منهما يحمل في طيّاته أثر عن الآخر، وهذا هو «التصنيف الذي يقوم على الجمع بين نوعين أو جنسين أدبيين متجاورين في عمل روائي واحد»[3]،يخدم النص توازن أجناسه وأنواعه فإذا كان نص رحلي فتواجد القصة داخله ليس بالأمر الغريب بقدر ما هو مألوف، إذ أن الأسلوب الحكائي القصصي يتداخل مع نص الرواية فكل منهما يسرد ويصف أماكن وأحداث ومشاهد، وأيضا تواجد ذكر السيرة لأحد من الشخوص أو كتابة رسالة لسلطان من السلاطين كما هو واضح في رحلات البعض من الرحالة كان ابن خلدون وغيره أو كتابة النوادر **كما فعل** ابن جبير في رحلاته والطرائف أيضا...كل هذه التداخلات تكون عن قصد أحيانًا وأحيانًا أخرى تكون اعتباطية، لكي تكون لنا خطابات أدبية «**حيث** يقع الجنس الأدبي بين النص والخطاب وهو يمثل من خلال عملية التصنيف خصائص مطلقة متحركة، تتشارك مع متعاليات النص ليكونا معًا الخطاب الأدبي»[4]، إذا يشكل توافق النص مع الخطاب قيمة أدبية هادفة، تبرز دلالة الألفاظ، ومكانتها داخل النص.

---

[1] - خديجة بصالح، تداخل الأجناس الأدبية من منظور النقد العربي القديم (القصة أنموذجا)، ص92.

[2] - ساندي سالم أبو سيف، الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ط 01، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص22.

[3] - المرجع نفسه، ص49.

[4] - عز الدين مناصرة، الأجناس الأدبية، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص13.

ولقد اهتم ببنية الخطاب العديد الرحالة، وساهموا في تطوير نصوص الرحلة حتى تميزت كل «خطاباتهم باللغة الواضحة، غير المعقدة، التي يتنامى من داخلها معجم الرحيل والسفر على نحو مخصوص على شاكلة "مشيت، نزلت، زرتها، أجوبها، طال تجوالي"، ويحيلنا على خصائص الرحلة القائمة أساسًا على المشاهدة والنقاط الأخبار وتصوير حالة المدينة».[1] اشتهر معظم الرحالة المغاربة بتنوع أساليبهم، فمنهم من يعتمد أسلوب مباشر ولغة سلسة واضحة، حتى يضطر به الأمر إلى إدراج الألفاظ العامية، أو الكلمات الشعبية المتداولة بين الناس وذلك لتقريب الصورة وتجسيدها أكثر لكي تكون المشاهد الموصوفة جلية في أذهان المستمعين أو القراء والبعض الأخر يعمد إلى استخدام أساليب فنية غير مباشرة وذلك لأغراض ودوافع عدة، فالراوي يندمج بطبعه مع البيئة الموصوفة وهذا ما جعل «الرواية أكثر الأنواع الأدبية قابلة لامتصاص الأنواع الأخرى بسبب ماهية الحرية المتوافرة في تقنية السرد وتفاعل عناصر البناء الفني للرواية مع الخصائص الفنية لباقي الأنواع الأدبية، وقد يكون الخطاب النقدي -اليوم- قادرًا على رصد تجليات إشكالية تداخل الأنواع الأدبية في الرواية ما دامت تعتبر كتابا مطبوعا مقيدا بمواصفات الطباعة وإمكاناتها وطاقاتها الفنية ولكن حينما تصبح الرواية التي تتداخل فيها الأنواع الأدبية كتابا الكترونيا مصحوبا بالوسائط المساندة التي تمنح النص الروائي مؤثرات صوتية أو تسجيلا صوتيا وصورا صامتة وناطقة بل قد يصل الأمر إلى مقاطع مرئية وغيرها من الوسائط المساندة فإن الخطاب سيواجه تحديا حقيقا لإشكالية تداخل الأجناس والأنواع الأدبية».[2] وقد لاحظنا الفرق بين الرواية المكتوبة ورقيا والرواية الإلكترونية، حيث تصبح عبارة عن نص مفتوح يمكن للقارئ أو مؤلف أخر أن يصيف أو يحذف أو يعدل فيها وأن يعطي رأيه الخاص، بينما الرواية الورقية كانت في السابق نص منغلق على نفسه فيه بياضات نصية وفجوات ولكن لا يمكن التعديل أو الزيادة فيها.

### 3- الرحلة و السرد:

يعتبر السرد الرحلي مجموعة من متواليات جملية ذات غايات ووظائف أدبية كما لا يختلف السرد في النص الرحلي عن السرود المعاصرة التي نشأ في أحضانها، فهو لغة غير مباشرة بل متداخلة ضمنه، لها علاقة بالتاريخ ووقائع العرب ذلك أن «الخلفية التي يكتب بها كل من المؤرخ والروائي والرحالة تعتمد على إثبات يقين مرتبط بالأحداث والأخر والذات ، كما ترتبط بطبيعة

[1] - نبيل حداد، تداخل الأنواع الأدبية، ص402.

[2] - المرجع نفسه، ص1034 – 1035.

الإدراك والتسجيل والتقدير والاختبار وعلاقة السارد بالوقائع»[1]، ولقد تميز كل رحالة عن الأخر بحذاقته أو أسلوبه أو دقة نظره للأشياء، فكل يعتمد على دقة التمحيص وحسن **ملاحظة** الأحداث، ويسجلها بطريقته الخاصة ويمكن أن يضفي على ذلك، أو ينقص لضعف في الذاكرة أو نسيان للأحداث.

ويفرز السرد الرحلي خصائص وروابط مشتركة كالإيجاز والحقيقة والخصوصية، وتعد بذلك الحركة السردية في النص الرحلي دائرة تعتمد على وتيرتين مختلفتي الألوان هما:[2]

**أ- سردية العبور:**

«و يمثلها الانطلاق والمسير في رحلة فعلية مادية أو متخيلة ذهابا و إيابا والعامدة إلى التقديم والتعريف» وتعتبر كتمهيد مقدم لبدأ الحكاية وسرد الأحداث أفقيا وعموديا.

**ب- سردية الوصول:**

«يتكثف السرد فيها ويحرص على التشخيص الدقيق سواء تعلق الأمر بما هو روحي ديني أو تقريري تبليغي أو علمي أو أدبي وبهذا المستوى يصبح السرد متوازنا ومتضمنا أشكال الوصف والتعليق والتأمل والمقارنة»[3].

تعتبر سردية الوصول خط مكمل لمسيرة الأحداث **فهي** مكملة لسردية العبور إذ هما معبرين (مادي ونفسي) بالنسبة للسارد **تقدما** للحكي دينامية التفاعل وتشحنه بحركات السفر والمفاجأة والغريب والعجيب منها.

«فالسرد فعل لا حدود له يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية، يبدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان»[4] **بالانظمة** اللسانية وغير اللسانية، سواء كان قول مكتوب أو قول مشافهة فهو يؤدي وظيفة إبلاغية حكائية كالخطابات اليومية العادية.

---

[1] - حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، ص228.

[2] - المرجع نفسه، ص230 – 231.

[3] - المرجع نفسه ، ص 234.

[4] - سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، ط1، المركز الثقافي العربي، 1997، ص19.

«وقد يؤدي السرد وظيفة تمثيلية شديدة الأهمية في الرواية، فهو يقوم بتركيب المادة التخيلية، وينظم العلاقة بينهما وبين المرجعيات الثقافية... إذ يركب ويعيد تركيب سلسلة متضافرة من عناصر البناء الفني ليجعل منها تشكيلا سرديا متخيلا فتكون الحكاية من ابتكار السرد»[1]، ونجد نص الرحلة عبارة شكل مركب بفعل السرد، مزج بين شخصيات ووقائع و أمكنة وأزمنة في قالب لغوي سردي.

تقول يمنى العيد في هذا الجانب: « إن الخطاب الروائي العربي الذي أفاد من تقنيات السرد الروائي العامة أو الكونية، هو خطاب أخذ يتميز بنسيج عالمه الخاص... وبهذا كله أخذت الحكاية تستوي في فضاء عالم روائي متخيل له منظور ومعناه، أي فضاء عالم له حكائيته الخاصة وروائيته العامة»[2]، فشكل السرد العربي صورة واضحة وساعد في نمو الأشكال الشفوية التي تنمو لتصبح بدورها نصوصا مكتوبة كنص الرحلة، وجاهزة حتى تمارس عليها أفعال القراءة من طرف المتلقي

## 4- أنواع الرحالة:

لقد اختلف الباحثون في تصنيف أنواع الرحالة، حسب انشغالاتهم «فهناك من ميز بين نوعين الرحالة الأدبي والرحالة الجغرافي:[3]

أ- **الرحالة الأدبي:** الذي يطوف لغرض علمي « و هذا تكون رحلته من البداية واضحة هو الذي يجول البقاع باحثا عن زاد معرفي، من خلال زيارة أماكن علم أو الالتقاء ومجالسة مشايخ وكبار العلماء. ومن أمثلة ذلك نذكر: ابن رشيد وابن خلدون».

ب- **الرحالة الجغرافي:** فهو يرتحل لأغراض سياسية وتجارية ودينية، وهذا أمره واضح فهو الذي يبحث عن قوت يقتاته أو رزق أو مجالسة كبار الدولة، ومن أمثلة ذلك: ابن بطوطة والإدريسي وابن جبير.

---

[1] - عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، الأبنية السردية والدلالة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 2013، ص141.

[2] - يمنى العيد، في المنهج والمعنى الخاص للحكاية، الموقف الأدبي، العدد 271، تشرين الثاني نوفمبر 1993، ص57.

[3] - حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، ص127.

وهناك من يرى في الرحالة ثلاثة أصناف:

- صنف انصرفت عنايته إلى الأدب والتراجم كابن رشيد.
- صنف يعمد إلى الإنسان بمشاهدات متنوعة كابن بطوطة و ابن جابر الوادي.
- صنف يجتهد في الحصول على أكثر ما يمكن من الإنجازات والتعريف برجال العلم والدين كابن خلدون.

وهذا ما شجع البعض إلى التدقيق في أصنافهم فمنهم من يقسمهم إلى الرسل والجاسوس وصاحب البريد والراغب والمغامر والسفير والملاح و التاجر والعالم. وتنوع الرحالة يضفي بالضرورة إلى تنوع الرحلات[1]» فكل باحث أو ناقد يرى في الرحالة صنف حسب رحلته والدافع الذي توجه به نحوها فهناك من أولى عناية بالغة بالأدب وجمع قصائد أو ارتحل لجمع مادة خام، وهناك من ارتحل ليجلب لنا مشاهد وطبائع عن البشر وهناك من اجتهد لملاقاة رجال الدين والنفوذ وغيرهم، كل ذهب وارتحل لدافع معين.

لقد عرف فن الرحلة عند الرحالة المغاربة بأغراض ودوافع عدة وكانت أسماها زيارة بيت الله المقدس، إضافة إلى معرفة أحوال وطبائع البشر، فوصفوا لنا أخبارهم وعاداتهم ومعتقداتهم، و اعتبرت الرحلة جنسا أدبيا من حيث أنها نص مفتوح على شتى الأجناس كالسيرة و التراجم و اليوميات و غيرها.

أما طبيعة الرحلة فكانت مختلفة منها الطابع الموسوعي، والطابع الإنساني، والطابع الشعبي، والطابع الجمالي، والطابع النقدي والطابع الفكاهي هذا من الخصائص الأسلوبية، أما الشكلية فقد ركز الرحالة على طريقة تدوين رحلاتهم وكيفية نقلها إضافة إلى حسن تركيبها وصياغتها بلغة بسيطة.

[1] - حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، ص127.

# الفصل الثاني

## ملامح أدب

## الرحلة في رواية

## مأوى جان مدوّن

مقدمة:

تنفتح رواية "مأوى جان دولان" للدكتور عمر بن قينة على رصد سلوك بعض من الطلبة الجزائريين في فرنسا، و قد ارتحلوا بهدف الدراسة و طلب العلم، لكن هذا الهدف لم يكن حائلا بينهم و بين الأهواء التي سافر من أجلها كل طالب، و تنقسم الرواية إلى ثلاثة عشر فصلا غير معنون، و قد جمعت في 154 صفحة، و قد صدرت في طبعتها الأولى، عن المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، سنة 1989، و قد أراد عمر بن قينة تفسير ظاهرة الانسجام الحضاري بين الأنا و الآخر انطلاقا من مبدأ التأثير و التأثر، ففي "مأوى جان دولان" لا نرى الاختلاف فحسب، بل نجد فيه التطرف و المحافظة و نجد فيه الاعتدال و حتى الذوبان، لكن بالرغم من هذه المفارقة نلمس عند بعض الطلبة الجانب العربي الإسلامي، بينما ينعدم عند البعض الآخر.

رواية "مأوى جان دولان" لعمر بن قينة، سفر وهجرة إلى أوروبا قدمت لنا صورة الأنا في صراعها مع الآخر من خلال معايشته والتعرف على نمط حياته، وقد سعى وبذل قصارى جهده لكي يجرب معيشة الغربي، والاندماج في محيطه والتحرر من بعض المسؤوليات هناك، لكنه سرعان ما وجد نفسه في متاهات الحياة، من اختلافات وضعف اللغة، واكتشف أن الضياع بات يأسره، من نواحي شتى، فهل يا ترى الأنا فهم الأخر وتأقلم مع جوه ومحيطه أم زاد من عمق جهله؟ وما علاقة الاسم جان دولان واصطلاحه على الرواية؟

هذه الرواية مستلهمة كما يدل عنوانها من رحلة قام بها الكاتب عمر بن قينة إلى "مأوى جان دولانJean Dolent" الجامعي ذي الطوابق الأربعة المتميزة بشكله ما بين العمارتين اللتين يفصلهما الشارع، تماما كتميز سجن "لاسانتي" في المكان بالضبط باريس، وقد جاءت من جهة بناءها عناوين، لكن مقسمة تقسيما واضحا فهي مكونة من ثلاثة عشر فصلا ليست لها عناوين، لكن يبدو أن الكاتب قسمها حسب مواضيعها، شخصياتها جاءت بارزة، فهناك الشخصية المحورية "أبو الأرباح"، إضافة إلى شخصيات أخرى ثانوية، إلا أن بنائها الزمني لم يسر على التعاقب وإنما كسر خطية الزمن، أما تسميتها فهي راجعة إلى منزل القديس "جان إيودس" حيث يتلقى الضيوف هناك عشرات الغرف المتاحة ليلا مع وجبة الإفطار، ضمن طائفة دينية من الأخوات الفيتناميات مع ضمان الاستقبال ولكن من الضروري احترام روح الآباء الديني، "إيودس Eudists" .

## I- الملامح العامة :

### 1. المعرفة:

لقد اشتملت الرحلات على العديد من المعارف والعلوم التي تنمي من قدرات القارئ، وتتجسد هذه المعارف في شخصية الرحالة و الباحثين، فكلما كانوا موسوعيين كانت رحلاتهم أوسع وأشمل لشتى المجالات، كما تعد رواية "مأوى جان دولان" مثالا حيا لأدب الرحلة في العصر الحديث، مع تطور وسائل النقل في هذا العصر، حيث أصبح الرحالة أقل جهدا و مغامرة ممن عاهدناهم سابقا، و بات عنصر التشويق والإثارة لديهم أقل مما كانوا عليه سابقا ، وهذا راجع إلى تعدد وتنوع أساليب المعرفة و اختلاف وسائل النقل في العصر الحديث ، « وبعد تمكن الإنسان من أن يلم بالقدر الكافي من المعرفة عن العالم والإنسان ، ولم يعد مكان على سطح الأرض معدوما أو قوم من الأقوام البشرية مجهولا ... فلقد تغير الزمن، و استحدثت الآلة والوسيلة اللتان يمكن بواسطتهما الحصول على ذلك الكم الهائل من المعلومات عن هذا الكوكب، والكشف عن المجهول من أمره»[1].

لقد تطورت التكنولوجيا وساعدت الرحالة في كشف خبايا هذا العالم ، فلم يعد الأمر يحمل مشقة وعسرا كالسابق، بل أصبح كشف ومعرفة عادات وألسنة البلاد الأخرى أمرا يسيرا، وذلك ما عمق المعرفة في داخلنا وساعدنا على فهم مختلف أجناس البشر« فالرحلة تنبني على تقديم معرفة متنوعة مباشرة من المعلومات الأدبية والتاريخية والجغرافية والإثنوغرافية*وغير مباشرة تتشكل من آراء و مواقف الراوي عن ذاته وعن الآخرين»[2]، لهذا جاءت شخصيات الرواية محملة بالعديد من المعارف ثقافية وتاريخية ودينية واجتماعية لذلك فقد«آمن "إبراهيم" وهذه قناعته التي باتت ثابتة أن من يختار طريق العلم والثقافة فقد أعدم نفسه، أو حكم على نفسه بالشقاء الأبدي والتعاسة التي تزداد توطدًا في حياته المهنية والخاصة، لذا فقد أقام من البداية خطة لتحركه ونشاطه للكسب والظفر بلذائذ الحياة...»[3]، ويظهر لنا في هذا الموضوع أن الشخصية لم تكن صبورة

---

[1] _ حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص33.

[2] _ شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص249.

*الإثنوغرافية : كلمة معربة تعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة العادات والتقاليد والقيم والأدوات ، والفنون والمأثورات الشعبية للدى جماعة معينة .

[3] - عمر بن قينة، مأوى جان دولان، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص44.

بالقدر الكافي لأنها فضلت التجارة والكسب الشخصي ، على أن تتبع و تسلك طريق العلم ، فهي اعتمدت على العمل خارج إطار التعلم والتعليم ، وهذا راجع لمعرفة سابقة لأحوال الفرد وأيضا عدم تحملها لمتاعب الحياة في الدراسة والمهنة ، لكنها رضخت بالمقابل لتحمل متاعب المكسب فهو فضل ربح يده على أرباح أخرى، ويتبين لنا في موضع آخر خطابات جسدتها شخصيات الرواية حاملة في طياتها معرفة دينية متمثلة في دفاعات عن الدين وأسسه « كان ذلك دافعا جوهريا لـ ـ "جوزيف" ليعود اليوم بمعنويات أفضل صحبة خليلته "ليريا" صـديقتها "عيشـة-ستيفان" لعلهما يقنعانها بالإسهام معهما في نشر دعوتهما .. كما فهمت لأول مرة وهي تراهما يحملان نماذج من مطبوعات "يهوه" و "الكتاب المقدس" لكن "عيشة-ستيفان" أوضحت لهما اليوم بشكل عجيب أنها تحس نفسها مسلمة تماما ولو بحكم الإرث ، كما تحس بأنها آثمة في كثير مما تأتيه من أمور .. أما اعتناق أي مذهب آخر جديد ... »[1] .

يتجلى لنا من خلال المعرفة الدينية للشخصية ، أن إيمانها الفطري ساعدها على ردع الآخر والتصدي له ، فتلك المعرفة المتجذرة في أعماق "عيشة_ستيفان" جعلتها تقاوم من يعترضها ، بالرغم من أن الشخصية على قدر من الانحراف لكنها تنوي التوبة في يوم من الأيام ، و لأنها متيقنة ومؤمنة بأن الله غفور، «فالرحلة التي لا تصادف ما يعيق استمرارها ولا من يساعدها على الوصول إلى الهدف لا يمكن أن تسمى رحلة »[2]، و هذا ما وقع مع "عيشة-ستيفان" لما أرادت التوبة والتقرب إلى الله ، فهي لم تشعر بأنها مذنبة إلا بسماع نصيحة صديقيها.

وكما يتجلى لنا مظهر آخر من مظاهر المعرفة الدينية للشخصية ، متمثلا في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول :« أما موضوع الدين فأنا مسلم ، والقرآن يذكر المسيح والمسيحية بخير ، ويبقى الإسلام آخر الأديان للبشرية ، دين حرية وحب وعدالة تسامح ، كما كان "محمد" صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء وبشير خير ومحبة وسلام »[3]، يوضح لنا هذا القول الإيمان الحقيقي للشخصية، و تعلم تماما أن آخر الأديان دين محمد صلى الله عليه وسلم وبعث لكافة الأمم بشيرا ونذيرا ، لكن في المقابل نجد صراعات دينية أكثر من هذه، فنجدها صراعات

[1] _الرواية، ص77.

[2] _سعيد بنكراد، السيميائيات السردية ، ط1، منشورات الزمن، الرباط، 2001، ص77.

[3] _الرواية، ص79.

داخلية بين الشخصيات و ذواتهم «نحن ... يا هؤلاء ... في أمسية رقص ولسنا في مسجد ولا في حديث الشيخ "زبير" ولا " الغزالي" أو ... فجاء تعليق "عبد الله" ساخرا :

- فلنسبت إذن مع اليهود، ولنستقبل الأحد مع رواد الكنيسة .. "[1]، هنا حدث تضارب في الآراء فـــ"عبد الله" شخصية غامضة فقد كانت تدل ملامحه على أنه شخص منحل ووضيع ، إلا أن داخله كان عكس ذلك، و ما يبين ذلك رده على جوزيف قائلا: « الإسلام دعا إلى الله ، إلى التكاتف ، إلى نبذ التفرقة ... وهذه عناصر إنسانية ليست من شيم الاحـــتلال الفرنســـي في الجزائر الذي خدمته المسيحية التي حرفت ... بهذا رد عبد الله بثقة مطلقة »[2] .

المتأمل في هذا الخطاب يرى أن شخصية "عبد الله" لديها معرفة دينية و تاريخيـــة ، تُعـــنى بتاريخ الجزائر إبان الاحتلال وما قام به المستعمر من محاولات مقابل أشياء مادية، وهناك أيضـــا العديد من المعارف الاجتماعية من عادات وتقاليد و أعراف ومعتقدات، إذ أن « الاختلاط والحياة مع الشعوب المختلفة ، إضافة إلى الاجتهاد في دراسة أخلاقهم وطباعهم، والتحقيق في ديانـــاتهم ونظم حكمهم، غالبا ما تضع أمام الفرد مجالا للمقارنة كما تساعده على تقييم نظم وتقاليد بلده و موطنه، ولكون الفرد يتشكل عامة في إطار معين من التقاليد والعادات التي ينشأ عليها ويألفها، فإن حكمه على الشيء المخالف لها يأتي عادة بقدر كبير من التعسف والتميز، مع أنه لا يدرك أنه هو وقع أسيرا لتقاليد وعادات لا تقل غرابة وشذوذا عن تلك الأمور التي تسود حياة الآخرين»[3].

عادة ما يولد الاختلاط معرفة لدى الأنا وتصبح الذات عارفة لبعض العادات والمعتقـــدات التي تخص الآخر، وقد تكون معرفة بناءة إذا كان الاختلاط من أجل العلم والدراسة ببعض أحوال المجتمعات ومعيشتهم ، أما إذا انعكس الأمر بالفعل يصير الاختلاط مؤثرا ضارا وفتاكـــا ويـــؤدي بالشخصية إلى الانحراف والتقليد الأعمى، كما حدث مع "زخروفة" و "عبد الله" وغيرهـــم ... حينما حاولوا التحرر من بعض القيود ، لكن واجهتهم قيود أكثر من التي كانت تحكمهم، فكان مصير كل من "زخروفة" و "ابن السعود" وغيرهم السجن والمرض والمطالبة قضائيا، وذلك لسوء التصرف إذ أن« المعرفة تظل هي الفاعل الأساس في محور الجهل والتخلف والعنصر الـــديناميي في

[1] _الرواية، ص73.

[2] _الرواية، ص85.

[3] _حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص17.

تحريك آلة التقدم»[1]، وعليه فقد تجسدت المعرفة الاجتماعية في أفعال و سلوكيات غير سوية بين العرب والغرب الذي باتت فيه رائحة العنصرية تفوق قدرتها، «تحلق البعض جماعات كثيفة حول طاولات متباعدة، برز من بين جماعة التركيز في الحديث على العنصرية المتصاعدة مدها في فرنسا، فيذكر هذا موقف واجهه ويذكر الآخر حالات، ويعطي ثالث أمثلة ... »[2]

نجد الأنا في هذا الموقف يرفض هذا السلوك غير الإنساني الذي أصبح فيه الأسبقية للأبيض على الأسود، و المسيحي على اليهودي واليهودي على العربي، كما تصاعدت وتيرة التفرقة، فبات الظلم مسلط على الأبرياء والضعفاء وأصبحت الحرية مقابلة للأشقياء، كما أعطوا حق للحيوان على حساب البشر كما فعل "برنار"**مع كلبه**، « لم يكد "برنار" وكلبه يمضيان كثيرا على رصيف "جان دولان" حتى أبدى الكلب حركة يريد بها التوقف لقضاء حاجته على الرصيف، فوقف له "برنار" وقفة أشبه بوقفة إجلال، بدت وقفة إحساس بالسعادة مضى في يتمعن فيها كلبه كما يتمعن كلبه كلما يتمعن فضلاته و في عينيه ما يوحي بالعزم على التصدي لأي مصدر سوء قد **يصب كلبه** ... مر بهما في الاتجاه المعاكس مواطن إفريقي ذو بشرة سوداء .. حيث قذف بكتلة **لزجة من بصاقه** ... لكنه انتبه على نظرة حادة يسلطها **عليه** "برنار"، ومعنى تلك النظرة المشبعة بتخوم من الضغائن والأحقاد»[3]، نلاحظ أن العنصرية هنا بلغت أعلى المراتب في التعاملات ، هذا ما دفع بالشخصية إلى الرغبة بالرجوع إلى الوطن وتقبل كل ما فيه لكن "حين يسمع المرء ... ويشاهد حمى المزايدة على المغترب في فرنسا ... ويلمس نتائجها في الشارع تتمكن منه رغبة لقذف بصقة في وجه "لوبون" والرحيل فورا، العنصرية المتصاعد مدها بشكل ضار ... **على** الفرنسي أن يبقى وحده مع زبالة وفضلات كلابه .. يتخبط في القاذورات حتى يحس أن المغترب العامل ... كان نعمة على فرنسا »[4].

هذا هو الواقع في **فرنسا**، فبمجرد العيش هناك تكتشف شخصية المرتحل أن لا مجال للاستقرار مع الآخر إلا العودة إلى الوطن، فالبقاء في الغربة لم يعد مرغوبا فيه، لأنهما أصبحوا يرون أنّ أبناء المغرب العربي هم سبب البطالة في فرنسا وأنّهم قاموا بأفعال وأخلاقيات تتنافى مع

[1] _عبد النبي ذاكر، ملفوظية الرحلات العربية إلى الغرب، مجلة علامات، ع 20، مكناس، المغرب، د ت، ص73.

[2] _الرواية، ص30.

[3] _ الرواية، ص87، 88.

[4] _ الرواية ، ص149.

أخلاقياتهم المنحلة وان من القيود الاجتماعية التي فرضت على الآخر هي عدم مخالطة الأنا أو الغوص في قيمه وأفكاره ولابدّ من تجنّبه، وعلى هذا جسّدت الرواية أخلاق وصفات الآخر ووصفت تأثر العرب بهم وكيف انتشر الانحلال الأخلاقي هناك، «فارتاحت لذلك وهي تخطو خطواتها الأولى هذا اليوم.... ممتنعة بفضول خاص في أجساد نصف عارية، أو هي عارية بعبارة أصح...فعبرت عن رضاها بحركة مصحوبة بعدّة جمل منها المفككة الناقصة، ومنها التامة "هذه هي الحرية حقا"، "هذه هي الديمقراطية" ....تتعرى ولا أحد يتدخل في حياتك الشخصية»،[1] تتجسّد في هذا الصنف حياة الآخر وما حظي به من متاع في الحياة الدّنيا، وهذا ما جعل الشخصية تقع في ذهول وحيرة، ممّا رأت في هذا البلد من عادات مخالفة للواقع الجزائري، وذلك أحدث في نفسها رغبة في معرفة المزيد، ففي «بعض البلدان يرى أهلها أن الجسد المكشوف من الأمور التي لا تتعارض مع ممارسة الشعائر الإسلامية »[2]، وهذه عادة اجتماعية أقوى تأثيرا من الأثر الديني، لكن الفرنسيين لا يربطهم رابط ديني، فهم يعيشون مع الإنسان ويقيمون معه علاقات عابرة وكذلك حتّى مع الحيوانات وهذا هو الجهل بأمّ عينه فقد «.... أعلنتها صريحة واضحة والبارحة وهي تشارك في مشاهدة (مائدة مستديرة) في القناة الأولى بالتلفاز الفرنسي... كانت تقول بحماس: "أنا أحبّ القبل... أبحث عنها بشكل شره.. حتى مع الكلاب..." »[3]، وهذا راجع طبعا لانعدام الوازع الدّيني والأخلاقي، إذ ركّز الشخصية على هذه البنيات الاجتماعية التي تمثل الهوية الفرنسي المنحطّة، التي جسّدوها في تصرفات وسلوكات غريبة، لا يقوم بها شخص عاقل وعلى مستوى من الرقي والثقافة، وهو بذلك يقدّم منظومة معيشية غير أخلاقية عن الواقع الغربي بصفة عامة وعن صورة "فرنسا" فيها بصفة خاصة، وعلى هذا الأساس أيضا الشخصية الرّحالة أن التأقلم مع مثل هذه المجتمعات أصبح أمرًا صعبا فهذه التصرفات تشمئز لها الأبدان، كون الغربي محاطا بشتى أنواع القذارة، وهذه مأساة إنسانية في حق المغتربين، الذين صعب عليهم التمسك بالهوية العربية الإسلامية، فأغلبيتهم انسلخوا من قيمهم وتعاليم دينهم الحنيف فـ «ماذا يهمّ (سعيدًا) من ذلك خاصة في ظروفه المادّية الصعبة مادامت (كريمة) مضمونة، و (باريس) لا يعنيه من أمرها شيء غير زجاجة الخمر الرخيصة ينتش بها ولا أحد يمنعه

[1]- الرواية، ص40.

[2]- نوال عبد الرحمن شوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، ص160.

[3]- الرواية، ص46.

إياها ولا يحجبها عنه في حضور دراهمه..»[1]، كان همّ الشخصية هو إشباع نزواته الخاصة، وعدم التفكير في العواقب، فبمجرّد خروجه عن عاداته وتقاليده وانحلاله فمن الآخر وجد ضالته- في غياب المبادئ الأخلاقية وهذا مظهر من مظاهر الانحلال الأخلاقي، التي أصبحت متفشية بكثرة في بلاد الأجانب، وهذا مستند إلى الخبرة التي اكتسبوها هناك كما **كان** الحال **مع** (عيشة ستيفان) **حيث** «أبدعت إبداعا مذهلا بحركاتها الرشيقة ضاربة في كل الجهات الأربع بين الجميع، تحاصر هذا ولا تلبث حتى تهجره بغتة إلى غيره لتعطي البرهان العملي على الخبرة الجيدة، تنتقل بين الرجال في خفة طروبة...»[2]، كما عدّت خبرة الشخصية عنصرا أساسا في اكتساب شتّى أنواع المعارف، كون الخبرات نتائج مجموعة من التجارب بحيث أنّه «من الطبيعي أنّ العرب لم يبدأوا في تمثيل الخبرات الخاصّة بهم إلا بعد رسوخ قدّمهم وازدياد معارفهم العلمية»[3]، كما هو حال بعض الشخصيات التي لم ترضخ لأي ضغوطات أو سلوكات وذلك نظرا لتعدّد معارفها للحياة «فإبراهيم فكّر في أن يتزوّج (حليمة) التي يربطه بها مشروع خطوبة... إن أدركها قبل أن تنتهي **حياته**....»[4]، فهذا التوجّه يبرهن لنا إن الشخصية متمسّك بالهوية العربية، فهو أراد أن يتزوّج بجزائرية الأصل، **بدلا من فرنسية** تكون حاملة لهوية غربية، فهو لم يخالف بهذا انتماءه لوطنه كونه يريد إكمال نصف دينه مع امرأة من نفس مكانته و**تتحلّى** بنفس مبادئ مجتمعه، و**عكس** هذه الرغبة مدى تعلّق الشخصية بوطنه وإخلاصه له، أمّا الأخضر فقد خاطب عبد الله بـ : «أبي مثقف، أورثني أوراقًا وحب المعرفة، ولكن تركني بدون سقف، بل حين مات استندت لمراسم دفنه، ثم أذهب وأبحث في كل الشرائح... إلا المثقّف...وحده يكابد .. تفكيرا في غيره لا في **نفسه**.. تفكيرا في وطنه... في قوته... في مكانته... »[5]، تستند هذه المعرفة الاجتماعية إلى أحكام دينية وهي معاملة الآباء معاملة حسنة وبرّهما، فالوالد عندما يشيخ يصبح كالصغير ولابد من إرضائه لأن رضا الرحمن متعلق برضاه، والأمر الأكيد أن الشخصية كانت تسعى لنيل مرضاة الله ومرضاة الوالد، من خلال الطاعة.

---

[1]- الرواية، ص62.

[2]- الرواية، ص68.

[3]- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص11.

[4]- الرواية، ص44.

[5]- الرواية، ص128.

وتتجسّد لنا هذه الملفوظية الخطابية علاقة الوالدين بالأبناء، في إطار عائلي، وكذلك تكمن في هذه الرواية المعرفة التاريخية والتي تمثّلت في تاريخ الجزائر إبان الحرب وما خلّفه من دمار وأمية وجهل وتعذيب وشتى أشكال الدّمار، حينما قال "وهو يتوجس من (عبد الله) فعلّق هذا الأخير بهدوء و قام كمن يقرّر حقيقة لا يختلف فيها اثنان: في الجزائر كانت المسيحية وخراب الاحتلال كاللحمة والسدى شيئا واحدا في النهاية، عملا معا من أجل محو هويتنا، وشخصيتنا وثقافتنا المحلّية والوطنية القومية، وتفتيتنا للقضاء على تاريخنا وحضارتنا بعمقها العربي والإسلامي"[1]، إن المعرفة التاريخية التي يكتسبها الشخصية جعلته يواجه نظيره أثناء الخطاب ويبين لنا كيف واجه الجزائريون الاستعمار و لم يرضخوا له ولو لدقيقة، وكانت تضحياتهم بانفسهم وأولادهم وأموالهم شهادة على ذلك، وهذا بالطبع راجع إلى نمو وعزة الوطن في داخلهم والانتماء إليه وعدم التفريط في أرض الجزائر، مهما كلّفهم الثمن، لذلك فإن "المعرفة تسمح دائما بالمناورة لمن يملكها في مواجهة الآخرين، وسيد المعرفة سوف يصبح وحده باختصار هو السيّد"[2] .

أمّا الأخضر كذلك صوّب كلامه نحو "جوزيف": «هنا أوقفك ، قالها (جوزيف) كمن يملك الحجة القاطعة لفصل الخطاب، فارتفع صوت (الأخضر) محتدًا يضرب المثل على نشاط "المبشرين" وعلاقتهم المحكمة بعساكر الاحتلال وما فعلوه بشكل بشع في منطقة ما بالشمال خاصّة محاولا في ذلك تجسيد الضراوة في المواجهة، فلم يصبر (جوزيف) فرد محتدا... وهو يقول: الإسلام نفسه استعمار.... الإسلام دعا إلى الله، إلى التكاثف إلى نبذ التفرقة العنصرية، ومحاربة كل أنواع الظلم»[3] ، صوّر لنا الشخصية من خلال هذا القول شيم وخصال الدّين الإسلامي الذي حرّم الكثير من القيم غير الإنسانية، وشجّع على التسامح وترك الشحناء، والنّهي عن المنكر والأمر بالمعروف .... وغيره من الخصال الحميدة التي أتى بها ديننا الحنيف.

وهذا ينمّ عن الشخصية وما تحمله من أخلاق حسنة جعلته تبيّن لنا هذه الأخلاق الحميدة في الدّين الإسلامي، وأيضا التحلّي بصفات ديننا الإسلامي كإكرام الميّت وحسن استقباله وهذا ما أوصانا به رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، «ففي طابق دعي وصحابته للجلوس على كرسيين

---

[1]- الرواية، ص84- 85.

[2]- أحمد درويش، الإستشراق الفرنسي والأدب العربي، د ط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ت، ص 34.

[3]- الرواية، ص85.

قدما لهما في الغرفة التي طرقاها ثم قدّم لهما صاحب الغرفة قهوة ورحب بالزيارة راجيا منها بشكل مهذب الاختصار في شرح المهمّة ...»[1].

لقد تجسّدت أخلاق المسلمين في شخصية الرحالة، فقد أحسن الشخصية استقبال ضيفه وهذا راجع إلى القدر الذي يحمله من وعي وثقافة واحترام الآخر،«إذا معرفة الإنسان لذاته سبب لاكتشاف مواهبه الإبداعية، وبالتالي تحديد الدور ورسم المسار المناسب له في الحياة الذي من خلالهما يتقرب فيها إلى الله»[2]،و هذا هو الإسلام في أحسن صوره عكس ما يعتقده الآخر، أمّا المعرفة السياسية فقد ظهرت على شاكلة صراع وعلى سبيل المثال «ضاعف هذا الإحساس طغيان الشرطة الفرنسية التي يغذيها المدّ العنصري المتنامي باطراد وصراع الأحزاب الفرنسية على السلطة وتكاد تجمع كلها صراحة او ضمنا على توجيه أصابع الاتّهام إلى الأجانب وهم سبب البطالة في (فرنسا) وسبب الإرهاب وقلّة الأمن » [3].

وهذا الخطاب يحيلنا إلى المعرفة العميقة للسياسة الفرنسية التي تستمد حقدها للأجانب لما تقدّمه لهم فرنسا من إعانات اجتماعية وضمانات ... وفرص متاحة للإقامة أحيانا...

و المتصفح لهذه الرواية يجدها تزخر بالعديد من العارف التي تجعل شخصية الرحالة يقع في العديد من الاختبارات تنتج عنها تجارب مختلفة ومتعدّدة تكسبه روح التعامل وحسن التدبّر في شؤون الحياة.

## 2- الاختبار:

يصور لنا النص الرحلي العديد من الاختبارات التي قد مرّ بها الرحالة أثناء رحلاتهم وكلما تغيرت مجرى الأحداث ووقائع رحلته غاص في اختبار جديد، بداية من الخروج من بلده قاصدًا بلد الآخر الأجنبي (فرنسا) إلى غاية العودة إلى الوطن (الجزائر)، ويعتبر الاختبار «تركيب (مركّب) يحدّد خصائص حركة "الذات" اتجاه "الموضوع" ويتضمّن مواجهة سجالية أو عمليّة

[1] - الرواية، ص78.

[2] - عبد الرحمن ناصر الملحوق، البوصلة الشخصية، إكتشف دورك في الحياة، د ط، إصدار موقع هـ ـدفي،الرياض، دت، ص13.

[3] - الرواية، ص148.

ونتائج هذه الهيمنة»[1]، لذا اعتبر عنصر هام في النص الرحلي لأنه وبفضل مجموع الاختبارات التي يقوم بها الرحالة، تحقق تجاربه ويكتسب خبرات في مختلف المجالات، ممّا تساعده على صقل معارفه وتجاربه الخاصّة مع الآخر واندماجه في محيطه، لأن الاختلاط عادة ما يولّد مثاقفة بين الطرفين ولقد مرّ الشخصية الرّحالة بالجديد من الاختبارات وهي إتقان اللّغات الأخرى بغية التواصل و فهم الآخر، فمنحته أتاحت له فرص التعلم حيث «كانت منحتي الاستثنائية في ظروف ملائمة تدفعني للمضي حسب ما أهوى، لأوّل مرّة شعرت بأنني في حاجة إلى تكوين أكثر في اللغتين الفرنسية والانجليزية اكتفيت منها جميعا بالسطح الذي يخولني المرور في الامتحانات... مع ذلك نجحت و لم ينجح آخرون»[2] .

بالنسبة للشخصية الارتحالية هذا اختبار حقيقي، فهو تجاوز الزمن الماضي الذي كان يحالفه فيه الحظ دائما، وجاء بدله زمن آخر يشترط عليه الحذاقة والخبرة و إعادة ترتيب حياته و بناءها بإحكام لأن هذا الزمن ينبني على خبرة و معرفة اللغات التي تساعده على بناء حياته الجديدة فيما «يتأسس الاختبار على تلازم الاكتساب والانتزاع ويكسب النص سمة التوتر والصراع»[3]، فنجد الشخصية قد حظيت وغنمت بفرص كثيرة امتلكتها من خلال الاختبارات التي وقعت فيها، لكنّها في المقابل استلبت منها فرص أخرى على حسب قوله: «أعترف أنني فرطت في الكثير، وضاع منّي الكثير ولكنني غنمت أيضا كثيرا، غنمت حتّى هذه السنوات الثقيلة.. »[4] ، وتجسّد لنا هذه المقولة اعتراف الشخصية الرحالة التي مرّت بالكثير من العقبات لكن تجاوزها بفضل حذاقتها وأن هذه الصعوبات ما هي إلا اختبارات فقط.

«أبو الأرباح» شخصية طموحة لأنه تغلب على كل المصاعب، وولد في نفسه حبّ التعلم ورسخه في فكره، فقد «كانت بداية الانتصار ضحكة "ميراي" الزغرودة من الطريقة التي انتقلت بها عبارة الأستاذ أفهمتها وشرحت لي ثم نمت علاقتنا في اطراد، فزرعت في نفسي سحر اللغة الفرنسية فأجبتها كما لم أحبها من قبل في أحضان "ميراي" الكريمة... في أحضانها أتقنت

[1]- جيرالد برانس، قاموس السرديات، ط1، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، 2003، ص198.

[2]- الرواية، ص09-10.

[3]- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1991، ص52.

[4]- الرواية، ص12.

الفرنسية.. فتلقتني "كاترين" ذات اللغة الألمانية الرائعة... علمتني إياها كما علمتني حبّ ألمانيا... وقد فرغت من "كاترين" إلى "ستيفان" تعلّمت على يدها الإيطالية التي تتقنها بروعة»[1]، لقد كان اختبارا ممتعا بالنسبة "لأبي الأرباح" فبفضل هاتين الفتاتين "ميراي وكاترين" اللتين رسمتا له بداية طريقه إلى النجاح وتحقيق الأفضل، فأتقن الفرنسية وأحبّ باريس في المقابل، وتعلّم الألمانية وعشق ألمانيا، وحينما فرغ منهما تلقّى الإيطالية على يد "ستيفان"، ويبدو من كلامه أنّه أحبّ تعلّم اللّغات الأخرى، ووجد متعة في ذلك لكن «بعد أن يدشّن الراوي البطل يمهد أرضية جديدة بمنحه قدرة التحقيق، وتذليل الصعاب التي واجهته»[2]، لكن في المقابل تلقّى اختبارا جعله في حيرة من أمره وبات يراوده، لأنّه الشيء الوحيد الذي ندم عليه «ندمت على شيء واحد : هو أنّني عدت إلى الوطن وليس في ذراعي فرنسية، حتّى العودة كنت مجبرا عليها بمختلف العوامل الذاتية... إضافة إلى العوامل الفرنسية والجزائرية، ربّما كان التفريط في فرنسية زوجة احملها إلى الجزائر مع الشهادة هو ما صار يترسّب في ذاكرتي أيضا عن الوفاء الذي يندر لديها، عن التنكر الذي تدمنه، ثم ربما خوفا من أنها سترفض محيطي أو يرفضه ...أو أعيش مشاكل أنا في غنى عنها»[3].

إنّه اختبار الخروج عن العادات والتقاليد، فقد تبادر في ذهنه أنّه سيجد صعوبة في ذلك لأن أهله والفرنسية سيرفضان بعضهما البعض، فكيف له أن يتصرّف ويواجه محيطه لو أنّه حسم الأمر وتزوّج فرنسية، لكنّه في النهاية أيقن أن الأمر بات صعبا، وقرر أنّه لن يحين الوقت ويأتي ذلك اليوم الذي يصبح فيه أبناءه حاملين لجنسيتين، لأنّه خيار صعب ليس بالأمر الهيّن لكن نظرته لباريس مازالت نظرة إيجابية مليئة بالحيوية، فهو يعترف ويقر بأنّ باريس أحلى العواصم « فانـا هنا أرى الوجوه الحسان، حتى التي هي من هناك صارت حسناء فأحس أنّ في باريس تصير القتامة ألقى، والدمامة بريقا صاعدا.... القط يصيرا أسدًا والجرادة تصير غزالة »[4]، هذا الخطاب يحمل في طياته نظرة ايجابية إلى البلد الذي يتواجد فيه، فهو من شدّة إعجابه لباريس أصبح ينظر إلى شتّى الكائنات بنظرة حسنة، وهذا اختبار يحمل قناعات في نفس الشخصية للآخر، فهو ينظر نظرة عامة محببة للنفس كما نجده يحبّذ الانتماء لهذا البلد «لكنّه في باريس راغب عن التخلّي عن اللقب،

---

[1]- الرواية، ص10-11.

[2]- عبد الله إبراهيم، السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي، ط2، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص185.

[3]- الرواية، ص12.

[4]- الرواية، ص13.

راغب عن الحديث في موضوع الثقافة، بل راغب كل الرغبة في الابتعاد أكثر عن الحديث حول الموضوع الذي أعدّ فيه رسالته للدكتوراه»[1]، إنه اختبار الانتماء إلى الوطن، هذه الصورة الجملية التي يحملها الشخصية ناتجة عن مقارنته لوطنه بفرنسا، فهي منحته كل شيء يريده، فمن غير المعقول أن يترك هذا النعيم، ويعود إلى بلده الذي يمثله بالنسبة إليه الجحيم، «لأنّ فيها كل ما ينزع إليه ابن آدم من جدّ ولهو ونشوة وصعوبة ولذّة وصعوبة وطرب وعلم وأدب وحرية دائرة النظام لا تحدها حدود ولا تقيّدها قيود فباريس عاصمة الدّنيا»[2]، فالحرية باتت هدفه الأسمى كما هو واضح معه «في غمرة ذلك كان "أبو الأرباح" يردّ على احتجاج أحد الجيران قائلا: هي حرّة يا هذا، ماذا تريد لها؟ أتريد أن تلجمها بقوانين الجزائر وتقاليدها أنت في باريس عش حياتها أو ارحل، فردّ الشاب: لن أذوب ... ولن أرحل»[3].

من خلال هذه البنية الخطابية، التي تحمل نداء موجها لشخص تنبعث من طياتها اختبار تقبل هذه الفكرة، كون الجزائري في بلد الغربية وعليه أن يندمج في محيط فرنسا وأن يتنازل عن قيمه ومبادئه كما فعل "أبو الأرباح" فقد تحرّر من القيود والأغلال التي كانت تربطه بوطنه وعاداتهم، وأصبح شخصية غربية طغت عليها الأنانية الغربية والحسد، حتى أصبحت نفسه مشحونة بالكراهية وتمني الفشل لمن يعرفهم «شرح "أبو الأرباح" مضمون السؤال بشكل حيوي برغبته في سماع الكثير ممّا يوحي أن له فائضا من وقت وهو في أعماقه أن يكون (عبد الله) أتعس كثيرا، يتمنّى بالخصوص أن يرى معنوياته تحت الصفر، بدليل أن حالة غريبة من الابتئاس تعتري "أبو الأرباح" عندما يرى منشرحا خاصة ممن يعرفهم بل يصاب بغم عجيب عندما يرى (عبد الله) مبتسما قد يتغاضى قليلا عن سرور محدود... أما إذا رأى غيره في حال أحسن من حاله فإنه يموت كبدا، فيصبح العالم كلّه بشعا... »[4]، لكن الشخصية الرّحالة لم تنتبه إلى تصرّفاتها فهي لم تستطع إخفاء هذه الصفة البشعة من شخصيتها، فهذا الكلام يوحي بأنّها تعاني من ابتئاس وضياع داخلي ونفسي، لم تكد تتخلّص منه، ويعدّ هذا اختبار الموت الدّاخلي الافتراضي موت الإنسانية والمشاعر والأحاسيس الصادقة الخيّرة التي يحملها إنسان طبيعي لغيره، إنّ هذا الجفاف الدّاخلي الذي حل بالشخصية ناجم عن واقع مر وأليم مرّ به في حياته، جعل منه إنسانا عديم المبادئ، انسلخ من

[1]- الرواية، ص 13-14.

[2]- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص193.

[3]- الرواية، ص26.

[4]- الرواية، ص34-35.

قيمه، «لأنّه تصوير الرحلة هو وصف للصراع والمعاناة من أجل القارئ / مستمع وهدف محدّد»[1]، وهذا الصراع الداخلي جعل الشخصية تنتقد غيرها ، بحيث «كان "أبو الأرباح" يقول "الأخضر" بلغة أغرب إلى لغة الناصح والتانيب معًا:

- التزم الحياد، دع النّاس يعيشون حياتهم حسب الطريقة التي يريدونها.
- بل قل.... حسب الطريقة التي دفعوا إليها.
- لا يهم، المهم: لا تدخلن أنفك في شؤون الآخرين.... دعهم يغنّون ... يرقصون يعيشون، هذه فرصتهم، دعهم يتخلّصون من أكداس حملوها معهم، دعهم يخرجون من الضغط والإرهاب... الذاتي والخارجي...و أن إرهاب النفس....هو أكثر لؤما وضراوة »[2].

وبدخوله هذا الاختبار قد تغيّرت نظرته للعالم ورؤيته للكون، وأصبح أسير الضغوطات الخانقة، فاحتلت جزءا من كيانه، كانت ردّة فعله أشبه بثورة على كلّ القيم القديمة، التي تغلغلت في دواخلهم، و نادى باستقبال عالم جديد مختلف تماما عن العالم القديم الذي تحكمه قواعد ومبادئ وقوانين كالعادات والمعتقدات، وبمجرّد التخلّي عن هذه القيم تصبح طليق محرّر من هذه القيود، وتبقى التبعية الغربية نامية في عروقهم وتقليدهم للآخر يصبح أعمى لا يبصر شيئا، كما حدث مع "زخروفة" التي كانت تحبّ الاستكثار والكسب وتولّدت معها النّرجسية وحبّها لذاتها يزداد يوما بعد يوم وهذه هي الأنانية الغربية، فهي تأثرت سلبا بالفرنسيين وأخذت ما عدا مساوئهم حيث «أخذت هذا الجانب من حياة (باريس) الصاخبة و لم تاخذ غيره، كانت كمن يلتقط النفايات، أو كعابر بهره البريق، فأخذ القشرة المتعفنة وترك منها اللب ....تزداد قيم الأنانية ممرور الأيام توغّلا في أعماق "زخروفة" بل شرع إحساس جديد ينمو في نفسها، إحساس عجيب حقًا هو ذلك الذي يجعلها تمور حقدا وكراهية كلّما رأت بسمة على شفة وكلمة لمحت سعادة ما تاخذ طريقها إلى قلب واحد»[3]، للأسف هذا هو اختبار ثقيل الآخر الفرنسي بكلّ ما فيه من محاسن ومساوئ، فالشخصية وغيرها من الرحالة المهاجرين إلى باريس تشبّعوا بالثقافة الغربية، كما حدث مع الشيخ رفاعة الطهطاوي في رحلته إلى باريس فهو «تأثر بها لما رأى من تقدّم الحياة

[1]- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص91.

[2]- الرواية، ص56-57.

[3]- الرواية، ص45.

والحضارة هناك»[1]، إلا أن "زخروفة" و"أبو الأرباح" أصبحوا حاملين لهوية أخرى غير الهوية الإسلامية، وانسلخوا من بعض مبادئهم ونسوا ما كانوا عليه من دين وتنكّروا للعديد من قيمه كما هو الحال مع (عيشة) ذات الاسم المستعار 'ستيفان' فهي «تحسّ بأنّها آثمة في كثير مما تاتيه من أمور ... وهي تنوي التوبة في يوم من الأيّام... الإسلام دين تنكّرت لكثير من قيمه ومبادئه... فإذا تاب الله عليها عملت بدينها الذي هي آثمة في حقّه»[2]، حيث كانت آليتها لمجابهة وتخطّي هذا الاختبار هو اليقين التام بأن الله غفور رحيم وتواب كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة التوبة الآية: 104].

ويعدّ هذا خطاب ديني استخدمته كردّ على (جوزيف وخليلته) أثناء محاولتهما لتنصيرها، إلا أن إيمان الشخصية الفطري والمتجذّر في كيانها جعلها تقاوم نظيرها ، وعرفت قيمة دينـــها في تلك اللحظة التي لو كانت طمّاعة مثل "أبو الأرباح" لاعتنقت دينا آخرا مقابل المادّيات «فـــأراد "أبو الأرباح" الذي بدا حياديا أن يقول كلمة تخفف من توتر الموقف، فسأل (جوزيف) بطريقـة أقرب إلى المزح:

- ما تدعون غليه هل تدفعون مقابلا ماليا لمن يساعدكم فيه... نحن في عصر .. فيه الأسبقية للمال على الأديان »[3].

إن المتأمّل لهذه البنية الخطابية، يجد اللغة المتجلية والبارزة بوضوح، هي اللغة التي تحيـــل إلى مجهول مصير غير معروف ضياع في عالم باتت فيه الأنانية والمادّية سيدتا المواقف وهـــذا اختبـــار لضعف إيمانه، فـ"أبو الأرباح" شخصية اتباعية، يفكّر في خدمة مصالحه الشخصية وهـــذا هـــو اختبار استيعاب تغير المفاهيم، كما حدث مع (عيشة - ســـتيفان) ، «ثم ... وثم أن (عيشـة-ستيفان) نزيلة المستشفى على بعد خطوات منّا أيضا.

- مريضة؟
- مهشّمة الرأس والوجه ... وغيرهما... والحكاية أطول من وقتي »[4].

[1]- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عن العرب، ص73.

[2]- الرواية، ص77.

[3]- الرواية، ص85، 86.

[4]- الرواية، ص139.

بمجرد دخول الشخصية لهذا الاختبار، أصبحت المخاوف والفاجعات تتوالى وراء بعضها البعض الواحدة تلو الأخرى، فالعالم بدأ يتغير وباريس كشرت عن أنيابها، و لم تعد تطيقهم وبدأت في تصفية حساباتهم معهم، ووقع كل منهم في المصيدة وازدادت الفرائس في يد البلد، وباتت تطاردهم ربّما هذا هو نتاج العيش في الغربة حتى «..ركبة هي كذلك مطلوبة للدّخول إلى الوطن، لكنّها ترفض ومصيبتها ستكبر، (سعدون) نفسه ملاحق أيضا قضائيا، ومطلوب في الوطن لماذا تلاحقت هذه المصائب في ظرف واحد؟»[1].

هذه الاختبارات الشاملة لمختلف نواحي الحياة، أفصحت عن سوء تصرّف الشخصية وعدم توقعها لمثل هذه الصدمات المتتالية التي ولدت الشقاء وأخذ العبرة من هذه التجارب الفاشلة، وذلك لانعدام الحس العربي الإسلامي في أنفسهم، وهذا ما جعل الكآبة تحيط بهم وتأسرهم.

## 3- الوصف:

لقد اشتملت هذه الرواية على العديد من الأوصاف لنواحي شتّى، فركزت الشخصية الرّحالة على وصف المناظر الجميلة والحزينة أثناء مكوثهم في بلد الآخر الفرنسي«أما الرحلة، فيمكن الذهاب الآن إلى أنها خطاب وصفي، لأنها تضع في الاعتبار الأول البعد المكاني في زمن معين...»[2]. والشخصية الرحالة لم تصف المناظر بمعزل عن أماكنها، فقد وصفت ما واجهه المغتربين هناك من معاملات، وما حلّ بهم جرّاء سوء تصرّفاتهم وتجاربهم القليلة في بلد الهجرة فرنسا، وجاءت مشاهدته متنوّعة وكثيرة للبلد فيصف سجن "لاسانتي" يقول: «وعلى البعد من ذلك قليلا وبشيء من الرّهبة وحذر المجهول انتصب السجن الرهيب "لاسانتي" المسود لونه كغراب لا يكفّ عن النعاق، يضغط في حناياه على الآهات ومختلف الحسرات والتأوهات...تخور العزائم أمام جداره الموسد كقلب حقود، فتكتئب النفس لمنظره المكفر كتهجّم عسكري ذي طبع بليد، المعلن نشرا مستطيرا في كلّ حجرة، وذرة من اسمنته وأسلاكه»[3] ، وهذا من أحزن المشاهد التي مرّ بها الشخصية، فقد وصف السجن وهو في أرعب الصور، وكأنه وحش يفترس كلّ من يقترب منه لبشاعة منظره، وأيضا لم يغفل مشاهد وصور العنصرية والاستفزاز من طرف الفرنسيين

[1]- الرواية، ص 140.

[2]- سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات،ط1، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2006، ص196.

[3]- الرواية، ص5-6.

فهم لا يريدون الإختلاط بالمغاربة وغيرهم، فيقول: «أنت من أنت؟ ألا تعرفين من أنا؟ أنا مسؤول، أنا رئيس المصلحة، أثار هذا التصرّف السخيف (عبد الله) فتدخل دون سابق تفكير، يا أخي هي لم تنكر موقعك ولا مكانتك، إنّها تبحث عن حل لقضيتها، من يكون إلى جانبها في الغربة إن لم تكونوا أنتم ... أنتم العون في حلّ المشاكل وسط محيط جليدي... برائحته العنصرية؟» [1]، فلقد وصف لنا الشخصية معاملات الآخر للمهاجرين هناك، وكيف هضمت حقوقهم في بلد الهجرة، فمؤسف حقا حال الغربة في فرنسا، لأنها لم تترك أثرا طيبا لا في الجزائر ولا حتّى في بلدها الأصلي وهذا دليل على فضاعة وحشية الفرنسي وأنانيته المتزايدة بشكل يفوق المحدود، وبمجرّد التأمل نرى أنّ المغتربين الذين يحملون ضعفا داخليا وغير مشبعين بالوازع الدّيني، انزاحوا نحو الهاوية، وبدت تصرّفاتهم حاملة لنفس سلوكات الآخر الفرنسي.

وعلى ذلك نرى "عبد الله" وردت فعل محاوره «يمضي شاكيا .... حال المرء بدون مال في باريس ومثلها فسأله "عبد الله" الذي كان يجلس إلى طاولة مقابلة:

-لكن لماذا جئت إلى باريس؟ فأحس الرّجل أن السؤال استفزازي وقح، فلم يتردد في أن يكون الرد من جنس السؤال، فقال: جئت لأنني أردت، جئت لأرقص، أشرب، أغنّي...» [2]، وهذه إجابة غير متوقعة من المغترب، حيث وجد (عبد الله) نفسه أمام مشهد من مشاهد الفرنسي، الذي لا يهمّه أحد سوى حرّيته، وهذا منظر آخر ينبئ بالحزن على حال المغتربين وما حدث لهم في بلد الهجرة، فهم خلعوا رداء الحشمة والحياء والنفاق ولبسوا رداء الفسق والرذيلة، وابتعدوا كلّ البعد عن فضائل الإسلام ومكارمه كما كان المال مع "عيشة" وغيرها فهي «ليست غريبة عن السهرات إذن، في باريس وجدت ضالتها للإشباع حتّى التخمة، فمضت تتحيّن الفرص في المناسبات وتترصدها عبر المواقع المختلفة...» [3]، بدأ الشخصية يتوقّع نهاية كلّ من خرج عن أخلاقه وابتعد كل البعد عن تعاليم دينه، وأنّ ما سيحلّ بهم قليلا إلاّ إذا تابوا ورجعوا إلى الطريق السوي، لكن الأمر تفاقم وأصبح تراجع الشخصيات عن مبادئها أمر هيّن وهو ما حدث كذلك مع ابن السعود «الذي بات يشعر أنه ضياع... اختلطت فيه الأشياء والتصورات فهل يبادر للاتصال بـ (فرانسواز)؟... وهي التي كانت تتهمه بالأنانية وروح المغامرة التي تجعله يغير النساء كما يغير

[1] - الرواية، ص16.
[2] - الرواية، ص32.
[3] - الرواية، ص20.

جواربه الوسخة أو أسرع من ذلك ... »[1]، بناء على ما سبق فإن هذه الشخصية هي شخصية سلبية لأنه ترك نزواته وأهوائه تطغى على نفسه، ولم يوقفها لهذا عد الوصف «عرضا وتقديما للأشياء والكائنات والوقائع والحوادث من الغاية والقصد في وجودها المكاني عوضا عن الزمني»[2]فكانت الشخصيات تحمل دلالات في طياتها مما كان عليه حال هؤلاء المغتربين، الضياع، والتيه،وعدم المبالاة أو الحسرة على أنفسهم القديمة ولذلك اعتبر الوصف في هذه الرواية « تفصيليا بدرجـة أو بأخرى، ودقيقا موضوعيا أو ذاتيا، نمطيا في رسم الشخصية ويعزز معرفتنا بالموضوع يؤشر لصراع منتظر أو قادم...»[3]، حيث يجد الشخصية تحس بالألم والتيه على حساب وصفه « منذ أيام غدا وجه المأوى يكسوه قتام شديد، مضى يزداد كثافة، تنقبض منه النفس ويفطر القلب بهجته حتى يخيل للمرء أن شرا مستطيرا يتربص به، مما يعطي انطباعا بأشياء مختلفة متداخلة، الإهمال، التيه، الإحباط، الضبابية في كل شيء، يأتي العناء شديدا أخيرا بحثا عن بصيص للخروج من الشرنقة »[4]،لم تكن هذه الأوصاف تنبئ بالخير، فقد وصفت المرارة والأسى والتشاؤم الذي كان يأسر الشخصية وكاد يخنقه، حيث أصبح يتمنى لو أنه يجد منفذا يخلصه من الهموم التي نزلت عليه كالصاعقة، فقلبه يعتصر حسرة وندما على هجرته لبلد كهذا مليء بالعناء والرتابة والإحباط الشديد كما « أصبحت الرواية مجرد لوحات ساكنة من النقوش الوصفية والعلاقات النحوية والتكرار والتضمين ..» [5]، وكانت الشخصيات هي المحركة لهذه السواكن من خلال أفعالها فحتى " خادمة الغرفة" نفسها انقلب عيها الحال فقد « تراجعت البسمة من شفتيها، واختفى البريق من عينيها، كما فقدت خفتها ورشاقتها ، خلف ذلك صمت دائم، ونظرة كسيرة وذبول في الأجفان لا يخفى على ناظر، يسري في أوصالها وهن وهي تنتقل بين الغرف والطوابق بخطوات رتيبة كئيبة مترهلة ..»[6] .

---

[1] - الرواية، ص53.

[2] - أبي حيان التوحيدي، السرد في التراث العربي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 2009، ص99.

[3] - جيرالد برنس، قاموس السرديات، ص43.

[4] - الرواية، ص136.

[5] - عبد الحليم الكردي، السرد ومناهج النقد الأدبي، د ط، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د ت، ص45.

[6] - الرواية، ص136.

بات الإحباط مفاجئا للعديد من الشخصيات وهذا ما كان يشير إلى النهاية المؤلمة والموحشة التي ستحل بالمغتربين هناك وستكون فاجعة وصدمة قوية لهم، نهاية تعيسة وخيبة أمل ستطرأ عليهم، يقول: « باتت "زخروفة" مقيمة في " لاسانتي " ،لم تحظ بزيارة من أحب الناس، ألست في "باريس"؟ "عيشة-ستيفان" لم يعدها أحد في المستشفى ، ألست في "باريس"؟ "ركبة " "سعدون" و ... و... وقد ودع كل من "هرهارة" و"الأخضر" "المأوى" كانت "هرهارة" في قمة السعادة ..»[1] .

كل هذه الأوصاف والمشاهد التي وقعت في الرواية ، لم توحي بالخير إلا القليل من الشخصيات الذين حالفهم الحظ ورجعوا إلى وطنهم الجزائر بسلام وسرور وهم حاملين معهم هدايا وقدرا كبيرا من المتعة والبهجة.

### 4- المتعة

جاءت رواية مأوى جان دولان حاملة للكثير من المتعة ذلك أن « عملية التحويل التي تخضع لها تجربة فعلية أو ذهنية أو روحية لتصير نصا لغويا تتم عبر اللغة الراسمة لتحقيق المتعة في مستويات، ووضعية مضاعفة في مراحل متعددة عاشها الراوي الرحالة قبل الفعل »[2]. لقد عاشت الشخصية الرحالة لحظات تعاسة نفسية، لكنها تخلصت منها لتجد نفسها داخل أجواء ممتعة، مزيلة بذلك الهموم عن نفسها، وأزالت بها رواسب الآلام والمعانات النفسية داخلها، فأبو الأرباح «عبر عن ذلك بشكل استثنائي تماما حين دفع ما شربه عشرة أشخاص في المشرب الصغير .. لكنـها الفرحة بالمغنم التي تتلوها فرحة لاحقة بربح جديد في "اللوتو" أوفي "التيارسي ( Tiercé ) »[3].

نجد الشخصية تستمتع بالمغنم، وتحتفل بتواليها عليه، لأنه شعور جميل بالنسبة لصاحبه بهذه المناسبة التي حققها، وكانت الأجواء رائعة حتى « تراجعت أشعة الأضواء الساطعة بشكل مباغت أعقبها إنبثاق الأضواء الملونة، مدت خيوطها في كل اتجاه ، تكبر مساحة ضوء في موقع من القاعة

---

[1] - الرواية، ص146.

2 - شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي، ص52.

3 - الرواية ، ص66.

وتقل في آخر، بينهما تنتشر ظلال مختلفة بألوان كثيرة ساد فيها الأحمر والأخضر مع تناسق جمالي بديع بين الأشعة الضوئية الملونة، أضفى ذلك على القاعة الفسيحة جوًا شاعريًا .. » [1] .

لقد عبر الشخصيات عن متعتهم بالرفض فقد كانت أرجلهم تدلك الأرض دلكا عنيفـــا، والأضواء تحفهم من كل مكان، وصوت الغناء مدوي القاعة، وانقلب المأوى إلى حانة رقص، لا يكاد أحد يسمع الآخر من شدة ارتفاع صوت الموسيقى، كما « وقفت سلمى أيضا من ذلـــك على بعد محدود محاذية المقصف .. في عينيها سؤال لم ينبجس عبر الشفتين القرمزيتين المضمومتين في توجس، لكنها كانت تحت الضوء الخافت بارزة للعيان، لون الضوء شعرها البني أصلا، وأضفى على وجهها الذي لم يعرف أكداسا من مساحيق جمالا أخاذا..» [2]،سلمى شخصية مرحة تحـب المتعة والرقص للترفيه عن نفسها ، ومما زاد حماسها هو إنارة الأضواء ثم انطفائها، وهذا ما بعث في نفسها حيوية ونشاطًا.

هذا ما يبعث في النفس الهدوء والإحساس بالمتعة، حين « تمشت علـــى الـــرؤوس مـــودة ناعمة، فبعثت في النفوس دفئًا ، كما جذبت المئات إلى حديقة ( الإكسمبور ) حيـــث شملـــت البهجة والفتنة المكان خضرة الأرض المعشوشبة وأغصان الأشجار الحالمة، وزقزقة العصافير ونطها في كل مكان بين باريسيات مستسلمات لأشعة الشمس .. » [3] ، فكانت إطلالة شمس بـــاريس كإعادة الروح في أنفس المغتربين والفرنسيين.

1 - الرواية ، ص66.

2 - الرواية ، ص67.

3 - الرواية ، ص101.

## II. رحلة الأنا إلى أوروبا ( فرنسا ) :

تعد رحلة الأنا سببا لانتقاله إلى عالم الآخر لغرض معين ( الدراسة ، التجارة ، السياحة ... ) من خلال رواية جان دولان تظهر ملامحه ، بكل تغييراتها السلبية والايجابية عند احتكاكها بـه ومدى تأثرهما بالبعض .

### 1- صورة الآخر في الرواية :

تجسدت صورة الآخر في الرواية بوضوح ، حيث تتشابك مع الأنا وتنفصل عنه حسب الرغبة ، لذلك فإن « الآخر هو المختلف في الجنس والانتماء الديني أو الفكر العرقي » [1]،وهذا ما يتميز به عن الأنا « نزلت بالمأوى هانئا سعيدا مطمئنا ... رحب بي المدير وهو يناولني مفتاح غرفتي متمنيا لي إقامة طيبة وتوفيقا في الدراسة ... لمحت في عينيه أكثر من مشروع لسؤال ... ربما خشي الرجل أنني ذو نفوذ غير عادي في الوزارة أو لدى الوزير » [2].

نلاحظ أن الآخر يختلف عن الأنا في الجنس والانتماء الديني والفكر العرقيّ، وقد يكون الاختلاف أيضا في طريقة التفكير ، حيث رحب مدير المأوى بالضيف ( الأنا ) متمنيا له إقامة جيدة ونجاح في الدراسة ، لكن الأخير لاحظ مبالغة في طريقة الترحيب، مما يحيل إلى أن المدير قدم صورة إيجابية للأنا.

وضح لنا السارد الصورة الإيجابية لشخصية ( ميراي ) التي تركت بصمة في نظر أبو الأرباح **قائلا**: « وكانت بداية الانتصار ضحكة "ميراي" الزغرودة ... ثم نمت علاقتنا في اطراد فزرعت في نفسي سحرا للغة الفرنسية فأحببتها كما لم أحبها من قبل في أحضان "ميراي" الكريمة .. وكفتني هم التفكير في الكثير من الأمور » [3].

نرى أن شخصية الآخر (ميراي) قد تركت أثرا إيجابيا في ذات الأنا والذي بدوره وضح أهم الأوصاف التي تتميز بها .

---

[1] - ماجدة حمود، إشكالية الأنا (نماذج روائية عربية)، سلسلة علم المعرفة، الكويت، ع 398، 2013، ص17.

[2] - الرواية ، ص07.

[3] - الرواية ، ص10.

أما شخصية (كاترين) التي جلبت الأنظار للأنا المتعطشة بسحرها «فتلقتني كـــاترين ذات اللغة الألمانية الرائعة ، علمتني إياها كما علمتني حب ألمانيا وعلمتني أيضًا في النهاية أن من الخـــير رفض الدعوة إلى الخدمة الوطنية في الجزائر بعد إنهاء الدراسة »[1].

هذا ما جعل (أبو الأرباح) يحبها ويتعلق بها ، كما تعلق بألمانيا حينما وقفـــت (كـ ـاترين) بجانبه ليتعلم اللغة الألمانية وأبجديات الحياة ، أما الإيطالية فقد تعلمها من (ستيفان) الـــتي تتقنـــها ببراعة فـــ«ستيفان تعلمت على يدها الإيطالية التي تتقنها بروعة .. » [2].

نجد أن أبو الأرباح قد أخذ حضا وافرا في اكتسابه لعدة لغات، مما يزيد في تعلقه بالثقافات الأخرى والتوفيق بينها وبين إعداده لأطروحة الدكتوراه « وهكذا فإن تطوير الذات يحتـــاج إلى الآخر ، فيمكن الاستفادة من معارفه حين نواجهه ، ونتعرف على نقاط ضعفنا فنندفع إلى تغييرها مثلما نتمسك بمزايانا »[3]، فيتبين لنا أن لقاء الذات بالآخر يتطلب حقيقة إيجابية، وذلك عن طريق الاحتكاك بينهما.

عرفنا أن الصورة الإيجابية قد حضرت بشكل متقطع في النص الروائي، وذلك لقلة التفاعل بين الأنا والآخر، وحدث تنافر بينهما، ولعل السارد وظفها عنوة ليتفرغ إلى توضـــيح الصـــورة السلبية للآخر حسب تجربته السابقة، كما فضل الأمكنة عن الشخوص كما في قوله: « فها أنـــا مرة أخرى يا باريس الحلم والحب والهوى والشباب ... يا أحلى العواصم »[4].

ركز السارد على روعة الأماكن على حساب الشخصيات ، حيث سلم بمشاعره لمخاطبة باريس كإنسان فباريس « هي الهدف الذي تطمح الأنا إلى الوصول إليه » [5].

وظف الكاتب صورة سلبية أخرى في النص الروائي، التي احتلت حيزا كبيرا في أحـــداث الرواية من بدايتها إلى نهايتها، فبذلك « نهضوا في الساعة الثالثة ليلا على جلبة وصراخ أقرب من المأوى ... كان أحد الرجلين المتخاصمين أكثر غيضا وكلاهما في حالة سكر لا تخفى »[1].

---

[1] - الرواية، ص10.

[2] - الرواية، ص11.

[3] - ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص18.

[4] - الرواية، ص12.

[5] - عمرو عبد العلي علام، الأنا والآخر،ط1 ،دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005، ص09.

بين السارد الصورة عند ذكره لمصطلح (سكر) الذي يكسر الحواجز بين الأنا والآخر، ويجعل تصرفات الشخصيات سيئة ، فعندما يقول: « فقد تعلمت من الفرنسيين هذه العملية الجوهرية، حب الاستئثار، وحب الكسب وحب الذات، ثم خلاصة ذلك : الأنانية الغربية » [2].

هكذا اتضحت المعاملات السلبية من قبل "زخروفة" التي عاهدت تعلم تلك العادات من الفرنسيين (الأنانية الغربية).

يواصل السارد توضيح الصورة السلبية أكثر تماشيا مع الشخصيات الحكائية في هذه الرواية قائلا : « لم تتحفظ كثيرا في إعلان هذه القناعة .. وهي تشارك في مشاهدة (مائدة مستديرة) في القناة الأولى بالتلفاز الفرنسي، فصفقت بإعجاب لفرنسية مندفعة كانت تقول بحماس : أنا أحب القبل .. أبحث عنها بشكل شره .. حتى مع الكلاب .. أنا جنس، أعشق العلاقة غير السوية .. أتعلق بالتافهين .. مع منبوذ ... »[3]، لذلك نلاحظ أن شخصية (زخروفة) تمارس عاداتها تقليدا للفرنسيات ، لشدة تعلقها بتصرفاتهن المنبوذة.

## 2- إعجاب الأنا بالآخر :

تتمثل هذه الصورة في تأثر الأنا بالآخر بأخذ بعض من صفاته وتصرفاته ومحاكاته له، سواء كانت سلبية أو إيجابية، وقد تجسدت في رواية مأوى (جان دولان) بكثرة متمثلة في نمط الحياة وكيفية التفاعل من جوانب عدة ( اجتماعية، اقتصادية، ثقافية ... ) وكذا ممارسة الحرية الفردية سواءً تنازلت الأنا على مبادئه أو خضع لثقافة الآخر (العادات والتقاليد)، وخلال هذه العلاقات حدث « التقارب بين الأنا والآخر لن يكون إلا عبرة ظلال الحب والاحترام الذي يتجلى بالاعتراف بخصوصية الآخر »[4] ، وهكذا تتضح لنا صورة الإعجاب بالآخر.

### أ- النمط الاجتماعي :

تجلت أنماط الحياة الاجتماعية لعدة شخصيات مارسوا حياة في مجتمع فرنسي غير مجتمعهم وما تلاقيه من صراع واحتدام في الآراء وطريقة العيش (نمط الحياة) ،بذلك يقول : « تحلق بعض

[1]- الرواية، ص25.

[2]- الرواية، ص44-45.

[3] الرواية، ص46-47.

[4] - ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، ص167.

الجماعات الكثيفة حول طاولات متباعدة، برز من بين الجماعة التركيز في الحديث عن العنصرية المتصاعد مدها في فرنسا، فيذكر هذا مواقف واجهها، ويذكر الآخر حالات، ويعطي ثالث أمثلة ويحاول آخر شرح الأسباب، ويتكهن غيره بالنتائج وما قد يسفر عنه المستقبل » [1].

ركز السارد على فكرة (العنصرية) التي جاءت من قبل جماعة في القاعة، حيث بدأ أحدهم بطرح الموضوع والثاني بين مواقف عايشها، والآخر بين الحالات التي عانى منها الناس في فرنسا، وتكهن الآخر بنتائج مستقبلية مما يبين أن نمط الحياة قائم على الصراع بين المجتمعات، ونبذ فكرة العنف في المجتمع الفرنسي .

ذهب السارد إلى إعطائنا صورة أخرى لنمط الحياة الاجتماعية « وقد بدأ كثيرون يغادرون القاعة، وقد أشارت الساعة إلى العاشرة ، فمنهم من يعود إلى غرفته ليواصل نومه أو ليتمدد قليلا ، ومنهم من ينكب على عمله، ومنهم من يتجه إلى المكتبة أو إلى الجامعة ... فلم يبقى فيها أخيرا سوى شخصين يتصفحان بعض الجرائد، وعاملتي التنظيف اللتين شرعتا تستعدان لأشغال الغرف »[2].

يشرح لنا السارد الروتين الذي تمارسه الشخصيات باختلاف مراتبهم وأعمالهم ، سواء كان طالبا أو عامل نظافة أو شيخ يتصفح الجرائد، أو تاجر ... إلخ، لذلك نقول إن «الحضور الاجتماعي وما يتضمنه من عوامل مكملة لصورة الآخر من سلوك وعلاقات»[3]، وهذه الحالة المكملة يتقيد بها الأنا أثناء تنقله.

وقف الراوي عند وضعية نمطية بطريقة تعامل شخصياته مع الأوضاع الاجتماعية، سواء كانت إيجابية أو سلبية «أنا بخير، أحمد الله، المنحة تصل، والتجارب تطرد، والخبرة بالناس والحياة تتسع، والعلاقة بباريس في تحسن والمعركة في الدراسة والبحث ضارية ضراوة ممتعة، الضراوة ضرورية هنا مهما كانت قيمة النتائج، فالمتعة في المعركة الشريفة .. »[4].

[1] - الرواية، ص30.

[2] - الرواية، ص33.

[3] - حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، ص298.

[4] الرواية ، ص35.

نرى بأن شخصية أبو الأرباح قدمت لنا مجموعة من النتائج رغم المعانات، فقد ذكر لنا لفظة (أحمد الله) التي تبين ارتياحه الذاتي في مجتمع (باريس) الذي يعيش فيه ويتعامل معه، على أساس تأقلمه مع نمط الحياة رغم النتائج، وفي قوله (المتعة في المعركة الشريفة) وسببها أن يبقى المنتصر الوحيد في هذا الصراع الأيديولوجي.

ينتقل الحاكي إلى فكرة جديدة عن الشخصيات التي تحاول التملص من قيود المجتمع، والعيش بمشيئتها (حرية النفس أو الذات) مع الآخر، فيقول: « لا يهم، المهم: لا تدخلن أنفك في شؤون الآخرين فلست أنت أكثر حكمة ولا معرفة، دعهم يغنون، يرقصون، يعبثون، هذه فرصتهم، دعهم يتخلصون من أكداس حملوها معهم، دعهم يخرجون من الضغط والإرهاب .. الذاتي والخارجي.

- ألا يكون الأصح: أنهم يحملون أكداسا جديدة أكثر نتانة ؟ وأن إرهاب النفس هو إرهاب النفس في كل الظروف وهو أكثر لؤما وضراوة..؟ »[1].

تجسد موقف أبا الأرباح في طريقة العيش دون أن يتدخل الآخر في امتلاك الأشياء ، والاختلاط مع المجتمع والتعبير عنها بالغناء، الرقص، العبث، التخلص من أكداس الإرهاب الذاتي، والتخلص من إعطاء الأوامر والطغيان وحب التسلط الذاتي.

يواصل السارد سبر الأحداث متتالية ومترابطة، دون أن ينسى الحركية التي تقوم بها الشخصيات بشكل استقراري، ثم يوضح لنا الحالة النفسية التي تعيشها، فيعاتبها تارة ويمدحها تارة أخرى "ما شأنها بالذين يحترقون من الثامنة صباحا حتى الثامنة عشرة في المكاتب أو في المعامل أو في المدارس والجامعات... ما شأنها بالفلاح الذي يقضي ساعات نهاره في الحقل ويعود إلى بيته مكدودا دون أن يحلم ثانية واحدة بالحصول على ربع من المغنم الذي ظفرت به عبر السبل التي أوصلتها إلى (باريس) كما أوصلت (أبا الأرباح) ومئات مثلهما في (باريس) وغيرها من مدن العالم شرقية وغربية»[2] .

تكلم السارد عن لوم الشخصية (زخروفة) ثم الذين يتدخلون في شؤون الآخرين بلفظة ما شأنهم جميعا منهم الكاتب، العمال، الموظفين ليخصص الفلاح الذي جسدوه،

[1] - الرواية ، ص57.

[2] - الرواية، ص58.

حتى أنه ينتظر النجاح في الحصول على منتوج وافر دون الخسارة فيه، رغم معاناته بذلك، ليذهب إلى ذكر شخصيته "أبا الأرباح" وأمثاله الذين وصلوا لما لم يصل إليه الفلاح المسكين فيحاول هنا مجرد شخصية ذكرها على سبيل المثال لتكون صورة لمجتمع مقهور مظلوم، «ويسجل الراوي موقفا حياديا يدفع به إلى نقطة يعبر فيها عن رأيه صراحة ... من خلال التعبير بالاندهاش والتساؤل والمفاجأة من التفاصيل الغير مألوفة»[1] متمثلة في تصرفات الأنا.

يواجه السارد في كل مرة شخصياته، لأنه اختار لهم مصيرًا أو قرارًا بين التخيير والتسيير، ثم كيف تعامل المحيط الذي تواجدت فيه « (عيشـة – ستيفان) أبدعت إبداعًا مذهلا بحركاتها الرئيسية ضاربة في كل الجهات الأربع بين الجميع تحاصر هذا ولا تلبث حتى تهجره بغتة إلى غيره لتعطي البرهان العملي على الخبرة الجيدة»[2].

هذه الشخصية (عيشة - ستيفان) اختارت العيش برفاهية ومتعة لتشبع رغبتها ثم لتجعل الأضواء مسلطة حولها، ولقد اختار نمطا للتعبير عما يخالجها للحياة الاجتماعية في ذلك المكان، ولأن معظم الشخصيات الأخرى حاولت التأقلم مع المحيط أو الأحداث بطريقة رائعة سلبيا كان أو ايجابيا، مكانا هامًا أو خاصًا، صغيرًا أو كبيرًا، واسعًا أو ضيقًا... إلخ.

## ب- النمط الاقتصادي:

يعتبر هذا الجانب من الحياة مهما لدى الفرد والمجتمع، حيث يؤثر الأنا بالآخر ويتأثر به بطريقة مباشرة واعية، وتعكس لنا صورة المجتمع الممزوج بين العمل والعاطفة والتوفيق بينهما على حد سواء لكن عادة ما يغلب أحد الجانبين عن الأخر، ثم يتدارك الواقع المتواجد فيه ليستطيع التحكم دون كلل وملل «غصت القاعة هذا الصباح بسكان "جان دولان" وضيوفهم النازلين عندهم في الغرف، أو الذين خرجوا من الفنادق باكرين

[1] - حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، ص299.

[2] - الرواية، ص68.

مقبلين على أصدقائهم أو زملائهم هنا لتناول فطور الصباح بثمن زهيد لا يزيد عن ثلاثة فرنكات بينما يكلف ذلك في الفندق ما لا يقل عن عشر فرنكات»[1] .

هكذا يواصل السارد ربط الأحداث بروية وإتقان، ليحافظ على ذلك التوازن السردي ثم الوصفي وفي هذا الجانب بالتحديد يحاول حل بعض الصعوبات لدى الشخصيات، «فصار أقرب إلى المواجهة بين "عبد الله" وضيف زميله "الأخضر" كان الصيف في البدء يشكو لصديقة الأخضر حاله المادية، فهو قد جاء إلى باريس بمناسبة أعياد رأس السنة وسها عن تأكيد الحجز للعودة إلى الجزائر...فقد نفذ ما معه من مال و لم يعد لديه ثمن الإقامة في الفندق، وليس له ما يشتري به طعامًا »[2] .

هنا وضح السارد ذلك الجانب الاقتصادي نظرا للظروف المؤدية إلى ذلك إلا ويبقى جانبا إنساني بحت، ثم التفاعل الموجود والحركية من مكان لآخر من أجل المتحصل عليه أو تحقيق رغبة «ذاتية أو استجابة لرغبة خاصة أو أداة لمهمة وظيفية أو بعثة علمية » .

يقدم لنا السارد دائما في كل مرة لأحداث ويتوقع من الشخصيات التفجير العاطفي والوحداني لتكون هناك صورة واضحة للعلن ولتبين طريقة الكسب والعطاء وحب التملك «إذا كان هناك من يرغب في أن يأخذ الدينار في الجزائر مقابل الفرنك يعطينه في فرنسا فأخبرني أنا أخذ الألف فرنك بألفين ومئتي دينار في الجزائر»[3] .

نلاحظ أن عنصر التشويق بارز في شخصية أبا الأرباح الذي حاول إدراك جانب التملك عن الأخر باختلاف السوق أو التجارة بينهما، لأن الإسم منطبـق على أفعاله التي يتصرف بها مع الغير بطريقة سياسية لينة واقتصادية كنمط اقتصادي في فرنسا.

ينتقل بنا الراوي إلى شخصية جديدة والمتمثلة في شخصية "زخروفة" التي كانت تتفاعل مع شخصية إبراهيم المتواجد بين صفحات الرواية، وقد أعطى صورة كل منها حينها «استقلت

[1] - الرواية، ص29.

[2] - الرواية، ص30-31 .

[3] - سعيد يقطين، السرد مفاهيم وتحليات، ص 203.

"زخروفة" الغرفة التي تركها "إبراهيم" في المأوى شاغرة، وقد أعطاها المفتاح لتتصرف فيها تؤجرها لواحد أو لواحدة لقضاء ليالي محدودة في حالات عبور البعض ممن "ألفوا" المأوى»[1]

نرى بأن شخصية "زخروفة" التي كانت تحاول الكسب بإيجارها غرفة إبراهيم الشاغرة، وتعتبر طريقة بسيطة ومتواضعة للربح الوافر لسد حاجيات اليوم من أكل ولباس وغيرها، وتتمثل هذه الصورة متجسدة في نمط اقتصادي واضح، ويعطينا السارد أنماطا أخرى لكيفية العيش مـع الآخر والتوفيق بين العمل والعلم، بين الدراسة والكسب «يوم السبت متميز في الحياة الباريسية، فالبشاشة تعلو الوجوه رغم محنة الأزمة الاقتصادية وشبح البطالة التي باتت كغول رابض على أبواب الملايين كلمات التمني الطيبة بالعطلة السعيدة»[2]

في بعض الأحيان تلجأ الشخصية للتعبير عن ذاتها من الأزمات تمر بها من المعاناة المادية كالبطالة التي يواجهها الطلبة في الدراسة، حيث يصعب عليهم الحركية والتعامل مع النمط الاقتصادي بشكل جيد.

يتضمن السرد أحيانا لدى السارد بوضع الشخصيات في مواقف تجعله يفصح عن ما يخالج ذاتيته: «ما تدعون إليه هل تدفعون مقابلا ماليا لمن يساعدكم فيه؟ وأخرج في الوقت نفسه من جيبه ورقة من فئة "مائتي" فرنك ملوحا بها في اتجاه "جوزيف" ثم أضاف:

- إذا كان لك استعداد لأن تدفع هذه سأعاضدك، لا يهم الغاية تبرر وسيلة الحصول، هذه هي الحياة يا سيد، أظن أنك أنت نفسك لا تخرج عن هذا الخط نحن في عصر ... فيه الأسبقية للمال عن الأديان»[3]

هكذا عبر أبو الأرباح عن شخصيته التي تميل دائما للربح بطريقة أو بأخرى، فهنا حاول أن يتيه جوزيف ليأخذ بعض المال، أو حدثه عن المال وحاول إقناعه بتمثيله لورقة من فئة مائتي فرنك حينما أخرجها من جيبه ليقنع الأخر حول مقصده من الحوار الذي دار بينهما وحول فكرة الأديان معبرا عنها بـ "نحن في عصر فيه الأسبقية للمال عن الأديان".

[1] - الرواية، ص43.

[2] - الرواية، ص53.

[3] - الرواية، ص86.

## ج- النمط الثقافي:

يستدرجنا السارد أحيانا إلى وضعنا في زوبعة من الحيرة، حين تتصرف شخصياته بغموض، حتى لو كان هناك توافق ومعرفة بينهما، لكن دائما الثقافة هي التي تجعل تلك الشخوص يتغيرون بها، فمثلا «لو كنا نبحث عن أسباب وقيم الرحلة لدى الشخصيات فإنها تطلب ثقافـة (علـم) الأخر لتأثر بها»[1]، وذلك من خلال قوله: «لاحظ (عبد الله) مرة أخرى أن (عيشة - ستيفان) تتكلف نطق بعض الحروف الفرنسية تكلف فظيعا حتى صار نطق الراء على لسانها عجيبا لكثرة المبالغة في تنغيم هذا الحرف، فصارت لذلك (باريس) تنطق "باغي" وجيرار :"جيغاغ"، وبيار: "بياغ"، ونسيت الملاحظة الحقيقية التي أبداها في أول لقاء بالمأوى وهي تكرر نطق "باريس" تشديد على الراء، فتصير باغي من "البغي" لا العاصمة الفرنسية الجميلة»[2].

نلاحظ كما قلنا أن شخصية "عبد الله" الذي استغرب في طريقة التكلم لدى "عيشـة - ستيفان"، حتى أنه قدم جانبا سلبيا في ثقافة الآخر بشكل فظيع وخاطئ ليعبر عن كلمة (باريس) لتصبح (باغي) ثم لتتحول إلى (بغي) بدلا من العاصمة الباريسية.

تتنوع رؤية السارد أحيانا ليذهب إلى بعض المقتبسات التي يتواجد بها ذلك الجانب السلبي للثقافة، حسب انطواء الشخصية لحياة الآخر، لكي يحاول إقناع من حوله أن الحضارة الأخرى مجرد تفاهة ومتاهة ويقول في ذلك، «آمن إبراهيم وهذه قناعته التي باتت ثابتة أن من يختار طريق العلم والثقافة فقد أعدم نفسه، أو حكم على نفسه بالشقاء الأبدي والتعاسة التي تزداد توطدا في حياته المهنية والخاصة»[3].

نلاحظ أن شخصية إبراهيم قد تمردت أثناء تشبيه طالب العلم بمن حكم على نفسه بإعدام نفسي، وتجلب له إلا الشقاء، الملل، التعاسة حسب رأي السارد.

يتقدم الراوي لتوضيح بعض النقاط المهمة كالأماكن والأحداث، والشخصيات، فهذه الأخيرة مثلا تعد مساهمة في سير الأحداث لذلك سعت وبعهد إلى العنصر الثقافي لديها «أنا

---

[1]- سيد عبد الماجد الغوري، رحلات العلامة أبو الحسن الندوي (مشاهدته – محاضراته – لقاءاته – انطباعاته)، ط1، دار بن كثير، بيروت، لبنان، 2004، ص11.

[2]- الرواية، ص21.

[3]- الرواية، ص44.

باحث، أستاذ جزائري في الأديان المقارنة، هذا يعني في النهاية أنني طالب، سنبقى طلبة دائما قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم حاثا على المعرفة: "أطلب العلم من المهد إلى اللحـــد" و "اطلـــب العلم ولو في الصين" رمز لضرورة المجاهدة وتحمل المشاق في سبيل العلم»[1].

هكذا تواصل شخصية "عبد النور" في تعريفه إلى العلم وسبله للتعلم، وليس بتلك البساطة، بل يجب تحمل المشاق والمتاعب لذلك الطريق الصعب لأن "الأنا" قد عايش ذلك في بلاد "الأخر" وثقافتها.

يضعنا الراوي "السارد" عادة في مواقف غير التي عرفناها، فهو يوجه شخصياته كما يشاء لكنه يختار المواقف والحالات ويربطها بالثقافة أو نمط العيش في ذلك المكان لذا «يحتل البعد الثقافي والعلمي مكانه خاصة»[2]، من حيث المستوى وكيفية تحليل الشخصيات سواءً حاضرة أو غائبـة «أبي مثقف أورثني أوراقا وحب المعرفة، ولكن تركني بدون سقف، بل حين مات استدنت لمراسم دفنه ثم أذهب ... وأبحث في كل الشرائح ما علا وهبط كلها تحس الحياة، تعيشـــها إلا المثقـــف وحده يكابد تفكيرا في غيره .. لا في نفسه .. تفكيرا في وطن .. في قوتـــه ومكانتـــه ... يحيـــا الآخرون يقطعون الثمار ويتخبط هو في التعاسة تحت ضروب من الحصار »[3].

نلاحظ أن هذه الشخصية حاولت إبراز الجانب الثقافي لديها وكيفية تعلقها بماضيها مـــن وقائع، حتى أنه تكلم عن الثقافة والمثقف نظرا لأنه عاش التجربة.

[1] - الرواية، ص81.

[2] - مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية والشرق العثماني، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2015، ص463.

[3] - الرواية، ص128.

## III.الملامح الفنية:

إن المتصفح لهذه الرواية يلاحظ أن أهم الألفاظ المتداولة فيها تنتمي إلى قاموس الرحلة أو ما يدل على السفر والتنقل إلى بلد آخر، كالمترو السريع والمترو العادي، محطة (شارل ديغول – إيتوال Charles de Gauelle Etoile ) محطة الدونفير – روشرو، سيارة "أودى"، سيارة أجرة، وبرجوعنا لهذا النص الرحلي نلاحظ العديد من العلامات المشكلة له، وهذا ما عمد إليه السارد لإضفاء الحركية والتفاعل والحيوية على النص.

والمعلوم أن الرحلة أصبحت تجلب الفائدة سواء للرحالة أو لغيره فقد كانت «البلاد التي يرحل أبناؤها عنها إلى الحواضر فإنها تعود إليها ثانية بعد عودة هؤلاء محملين بأنواع متعددة من العلوم، إذ يقومون بنشرها في بلادهم.. »[1] ، وهذا ما يرفع من المستوى العلمي بعد عودتهم محملين بشتى أنواع المعارف والعلوم، والملاحظ أيضا أن شخصية أبو الأرباح شخصية حركية تسعى إلى جلب الأرباح والمكاسب، ويتجلى لنا ذلك من خلال أفكاره وأساليبه المبتكرة في الربح، وحبه الشديد للعاصمة باريس فهي منبع أحلامه ولحظات سعادته (الدرب السعيد إلى باريس، حب تعلم اللغات ... بناء ثروة) وغيره من العبارات التي كان يقولها، كلها كانت تعبر عن شخصيته المحبة للثراء والمكسب، فحاجته إلى المادة جعلت منه شخصا غريبا يستعمل مختلف الطرق للإطاحة بهدفه هذا لأنه مستعد بأن يضحي بنفسه من أجل تحقيق أهدافه.

«غنمت حتى في هذه السنوات الثقيلة التي قضيتها في العمل الرهيب ... حتى جاء الخلاص هذه المرة أيضا بفضلهم، سأنعم بالسنوات الجديدة التي قد تمضي مثل سابقاتها "بفضلهم" فأنا في البداية وفي النهاية، ومهما كان الهم"أبو الأرباح" صاحب الليالي الملاح .. أعطني الفرح يا باريس.. ثم خذي عمري إذا شئت..»[2].

كل هذه العطاءات والأرباح التي حققها "أبو الأرباح" زادت من ثقته بنفسه وغروره، وخلقت لنا صورا جديدة لحياة جديدة في باريس، رغم أن هذه الشخصية غير مواظبة على عملها، فهي تتهرب أحيانا من مشقات العمل وتوهم المسؤول بأن عليها واجبات أخرى، وهذا ما يبين أن شخصية "أبو الأرباح" شخصية غير جدية تسعى إلى كل ما هو ممتع ومربح في نفس

[1]- علي إبراهيم كردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، ص18.

[2]- الرواية، ص12.

الوقت، واعتبرت رحلته التي كان يبحث فيها عن ذاته الضائعة في بلد الهجرة، رحلة شيقة، فقد تغيرت حياته هناك وتحققت العديد من أحلامه وتغير مستواه المعيشي وهذا ما عبر لنا عنه "عمر بن قينة" ، الذي وجد أبو الأرباح يسعى إلى التجارة والمكسب لتوفير حاجياته وزيادة رصيده «أما أبو الأرباح في الجانب الأخر فقد كان نجم الحلقة، يتحدث بلغة الخبرة والأرقام، عن الارتفاع المفاجئ في سعر الدولار.. ثم يختم جولته في مجال "البورصة" بتنبيه جاره حول أمر مهم: أنا أشتري هذا الفرنك بالدينار في الجزائر، وإذا عثرت على مهاجر هنا يرغب في ذلك ينبغي أن تخبرني.. »[1].

أبو الأرباح مضطر لتحسين مستواه المادي، وهذا ما يضمن له مستقبل زاهر في بلد الأخر، أما الطموح الذي عرفناه في هذه الشخصية ناتج عن فترات ضعف كانت تعتريه، لكن نفسه تثور من جديد على واقعها وتسعى لتحقيق الأفضل لتخرج من بؤرة المعاناة، وهذه أكبر البطولات التي كان يسعى أبو الأرباح لنيلها وتحقيقها «كما أحس في الوقت نفسه أن الموضوع قد يتجه اتجاها أخرا لا تكون له فيه بطولة بقدر ما يكون فيه ابتئاس»[2]، وهذا الحرص الذي عرفناه في هذه الشخصية نابع من ذكائها وخبرتها في الحياة، وتعتبر هذه الرحلة كرمز لرحلات العرب إلى أوروبا، «وأدب الرحلة في بدء الأمر ومنتهاه، هو محاولة لاكتشاف سر الأشياء والتعرف على تكوينها الذي يبدو أحيانا ككتل جليد عائمة في المحطات والبحار لا يظهر منها سوء العشر »[3].

والملاحظ أيضا أن الرحلة تحمل أسرارا ومكونات في طياتها تتضح بالفحص والقراءة فنحن «اليوم نختزل الزمن، فتنقلنا وسائل النقل السريع من مكان في يوم أو بعض يوم، وهي تطوي المسافات وتضع بين أيدينا (بانورما) البلدان والشعوب »[4] ،فأصبح العالم صغيرا لكثرة وسائل النقل وتنوعها من بحرية وبرية وفضائية، وبذلك قربت المسافات واكتشف قارات وبقاع.

ونجد الشخصية الرحالة تصور لنا المشاهد وتستدل بذلك، فجاءت مقدمة الرحلة واصفة لأماكن وطرقات «فالمقدمة على اختلافها تأتي منسجمة مع المضامين التي احتوتها كتب الرحلات، حيث يشعر البدء بالفكرة، ويمهد للموضوع الذي يقصده الرحالة»[5] ،وتكون كبداية وبوابة لنص

---

[1]- الرواية، ص32.

[2]- الرواية، ص35.

[3]- عماد الدين خليل، من أدب الرحلات، ص07.

[4]- المرجع نفسه، ص06.

[5]- نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، ص291.

الرحلة الذي يسدده الكاتب، وقد ركز في بداية وصفه على السجن الذي يمثل مصير الأشقياء والرادع لهم، وعادة ما يحمل رمزا للظلم والبراءة، لكنه كان يوحي هنا بالجزاء والعقاب وما ستؤول إليه الشخصيات في النهاية فهو الحد من كل حرية لا تفيدها قوانين «.. وبشيء من الرهبة وحذر المجهول انتصب السجن الرهيب "لاسانتي" المسـود لونه كغراب ..»[1] وهذا هو المجهول الذي لم نكن نعلمه إلا في نهاية نص الرحلة الذي فاجأنا بانقلاب الموازين فأصبحت الحرية مقابلة للتقيد والأسر والسجن المنتظر في بداية الأمر.

أما العرض«يأتي بعد التمهيد حيث توظف الرحلات كل الأساليب والتعابير لإبراز الموضوع أو الهدف الذي من أجله كانت الرحلات، فالموضوعات وكل ما صادفته الشخصية الرحالة من المشاهدات تصور الصلة القوية بين عناصر البناء الفني، فتأتي الرحلة أكثر قوة وترابطا»[2]، والهدف بارز ومتجلي فهو الذهاب والسفر من أجل طلب العلم وكان عبارة عن بعثة علمية إلى باريس لكن التأثر السلبي بالآخر نتج عنه العديد من الانحرافات غيرت مسارات الشخصية إلى الأسوء، لأن «الرحلة إلى جانب كونها وسيلة من وسائل جمع المعارف، فقد كانت أيضا فرصة لاكتشاف الآخر والأخذ عنه وإثارة الشعور بالمنافسة، والرغبة في التفوق والطموح إلى السيادة، ولم يكن ممكنا، والعربي في خيمته أو قصره أو حتى في معمله لا يبرحه»[3]، وهذا حال الإنسان بطبعة فضولي يحب الاكتشاف والمعرفة وتقصي الحقائق والبحث عن إجابات لكل مجهول خطر بباله وإجراء مناقشات وحوارات وأسئلة مع آخرين رغبة في التزود بعلوم أو منافع أخرى وهذه هي نهاية الشخصية الارتحال إلى بلد الأخر ثم العودة إلى الوطن بمجموعة من الأخبار.

### 1- لغة الحوار:

يمثل الحوار لغة تواصل في النص الرحلي، إذ هو «عرض (درامي الطابع) للتبادل الشفاهي يتضمن شخصيتين أو أكثر، وفي الحوار تقدم أقوال الشخصيات بالطريقة التي يفترض نطقهم بها، ويمكن أن تكون هذه الأقوال مصحوبة بكلمات الراوي كما يمكن أن ترد مباشرة دون أن تكون مصحوبة بهذه الكلمات»[4] ، وهذا ما يضفي سمة الحيوية والحركية على الشخصيات، من خلال

---

[1]- الرواية، ص05.

[2]- نوال عبد الرحمن الشوابكة، ص291.

[3]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص68.

[4]- جيرالد برنس، قاموس السرديات، ص45.

الخطاب الذي يجري بينهم، ويقدمه لنا الراوي في نسق سردي والحوار أنواع مباشر وغير مباشر وآخر باطني كقوله: «فحاول أن يشبع غروره بترديد ما قاله المتنبي:

**أفاضل الناس أغراض لذا الزمن  يخلو من الهم أخلاهم من الفطن**

لكنه تساءل في ريبة بينه وبين نفسه فيما يشبه السخرية والاحتجاج: **هل** أنا في جانب من الفطنة؟ لماذا إذن لم أكن فطنا في الموقف الفلاني»[1]، وهذا التساؤل الباطني الذي يحمل في طياته السخرية من وضعه وتأنيبا لذاته، ويرجع هذا الأمر بالطبع إلى طبيعة الشخصية، فهو كتوم ومتحفظ نظرا لطعناته المتتالية من طرف أصدقائه، فهو لم يعد يثق في أحد واستغرب في وضعه، لذلك سبق تساؤله **لنفسه** بيت شعري «فحضور الشعر بهذا الشكل أو ذاك في النص الرحلي ومجرد حليه في أحواض النثر لتأكيد معرفة الرحالة بالنظم، كما يلجأ إليه الرحالة للتنفيس عن غربته ومناجاة ذاته وأحبابه»[2]، وهذه البنية الخطابية دالة بالتأكيد صدمة الشخصية فهو كان يكن أنه بمجرد خروجه من وطنه سيجد البديل، إضافة لحياة مثالية في بلد الهجرة إلا أنه وجد العكس، فواقعه المأساوي سيجعله يفكر في العودة والفرار من هذا **البلد**.

ولأن الاحتيال والنصب أصبح منتشرا على حسب قوله: «لماذا نجح علان وفلتان في الاحتيال علي؟ لماذا خدعت في كذا؟ وغرر بي في كذا؟ »[3] فقلة حيلة الشخصية جعلت منه شخصا أبلها ينقاد وراء الأشخاص دون وعي أو إرادة إذا اعتبر حواره مع نفسه «تواصل اللغة دلالة التبليغ سواء قصد التبليغ الصدق في القول والزعم أو لم يقصد، وأية التبليغ أن تتقابل الشخصيات في الحيز الذي يتيح لها قراءة إشارات الصدق والكذب في أحوالها »[4] ، وهذا السبب جعل الشخصية انطوائية بعض الشيء، جراء حالات اليأس والقهر الداخلي الذي نتج عن احتكاكه بهؤلاء الغرباء وأيضا نجد شخصيات أخرى في الرواية تفضل الكتمان وعدم البوح، **كما** يقول الراوي: «حسنا فعلت أنني لم أقل له ما دار بفكري من أنه لن يبلغ بحيثيات القوانين والرسائل المضمونة ... المهم أن تكون ذئبا »[5] حيلة الشخصية شجعتها على التحفظ وكتم

---

[1] - الرواية، ص24.

[2] - شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص64.

[3] - الرواية، ص24.

[4] - حبيب مونسي، المشهد السردي في القرآن الكريم، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص180.

[5] - الرواية، ص08.

الأسرار بدل معرفتها من طرف الآخرين، ويمكن أن نحكم على تنوع الحوار في رواية مأوى جان دولان إلى أسباب عديدة أهمها، هو أن الشخصية أنانية لا تريد إعطاء نصائح لغيرها كما هي شخصية كتومة ترغب في العيش وبلوغ أحلامها، وهي كذلك تريد خدمة مصالحها الشخصية بعيدا عن غيرها، ويقول السارد في موضع أخر على لسان الشخصية: «لا يهم فلنفكر في شيء أخر، في الأهم بالإمكانات المتاحة، هذا هو قرار أبو الأرباح..»[1] ، والملاحظة أنه يحسن التصرف ولغة الحوار.

أما الصنف الثاني فهو حوار مباشر وبارز بكثرة في الرواية «وقفت امرأة مغتربة تسأله بصيغة (يا بني): أنا قالوا لي أن الوثيقة أخذها من هنا.. فحدجها المسؤول بنظرة جانبية قاسية ثم قال: أنت، من أنت؟ ألا تعرفين من أنا ؟ أنا المسؤول، أنا رئيس المصلحة، فتدخل عبد الله بدون سابق تفكير: يا أخي هي لم تنكر موقعك ولا مكانتك، إنها تبحث عن حل لقضيتها»[2]، يتضح غرور شخصية المسؤول بمنصبه حين خاطب المرأة، لكن واجهه عبد الله ورد عليه مدافعا عنها، فشرح له أمرها وأفهمه ذلك، ويعتبر هذا صراع بين شخصيات الرواية « لأن الصراع الأيديولوجي نفسه يتخذ شكل صراع أسلوبي أيضا بين لهجات الطبقات المتصارعة وأصوات الناس، كما أن هذه السمة تجعل الرواية قائمة على صراع بين خطاب الراوي وخطابات الشخصيات من ناحية، وبين خطابات الشخصيات بعضها والبعض الأخر من ناحية ثانية... »[3].

ويهدف إلى التعرف على التوجهات الفكرية التي تخص المجتمع الفرنسي، أي أن الراوي يصف لنا الحالة النفسية التي تمر بها الشخصية الرحالة، والظروف التي جعلته ينطق بهذا الكلام «هل الأمور تسير كما تتمنى؟ بهذا السؤال العجيب بادر (أبو الأرباح) زميله (عبد الله) بعد التحية التقليدية... دراسة ومالا ومعنويات..»[4]، كانت الشخصية المرتحلة في أغلب الأحيان تلجأ إلى تقديم استفسارات كثيرة في أمور مختلفة أكثرها تتعلق بالثقافة وأمور الدراسة وغيرها، حيث أن «اللغة التي تصوغ لفظا ما يقوله الجسد عبر حركاته، هي ذاتها التي تنزع عن الجسد أبعاده النفعية لتحوله إلى موضوع جمالي ... فإنها تحل محل السرد وتنوب عنه في الكشف عن خبايت النفس

[1] - الرواية، ص14.

[2] - الرواية، ص: 15-16.

[3] - عبد الرحيم الكردي، السرد ومناهج النقد الأدبي، ص99.

[4] - الرواية، ص34.

التواقة إلى التحرر»[1]، وملامح الشخصيات أثناء الحوار تبنى بردود فعل موافقة أو مخالفة لخطاب الشخصية المحاورة لها، وهذه الحركات تعتبر رموز تدل على ما تحتويه الشخصية داخلها «فالشخصية تبادر إلى التعلق لأنها تخاطب، أو تحاور آخر، لذلك يقطع الراوي سرده ليتقدم صوت الشخصية بالنطق المباشر محاورا المخاطب »[2] .

يتدخل الراوي بين الطرف المخاطب والمخاطِب ليقطع خطابهما بجملة أو جمل عديدة، وأحيانا ينسحب ويتراجع ليترك المجال للشخصيات لتبرز وجودها داخل الرواية، أما الصنف الثالث فهو حوار غير مباشر تعهد الشخصيات إلى قوله والبوح به داخل الرواية، وهو عكس الحوار المباشر الذي تكون فيه «اللغة شبكة تفاضلية للمعنى كونها وسيلة توصيل ، والمفهوم الذي تسعى لاستحضاره،.. إذ تكون اختلافات الصوت والإحساس هي العلامات الوحيدة للمعنى ... »[3]، وهذا هو الحوار الذي يسرده الراوي بعد أن تقوله الشخصية: « .. فلو لم أبادر بمحوهن من الذاكرة لكن البادیات بعملية محوي أنا من كل ذاكرة كل واحدة منهن، وانطلق سهما إلى الأمام»[4] ،كل هذه الحوارات كانت تحدد وترسم انفعال الشخصية المرتحلة بحيث أصبحت تفكر في محو الأشياء من الذاكرة ، وأصبح من الصعب محوها من الذاكرة ونسيانها.

## 2- الشخصيات الروائية :

يتجسد العمل الروائي على أساس متكامل، ومن أحد الأسس فيها الشخصيات التي تتضمن حركة النظام العلائقي داخله، وحسب بنيتها وفعاليتها في الرواية لذلك « تشير الشخصية إلى الصفا الخلقية الجسمية والمعايير والمبادئ الأخلاقية ولها في الأدب معاني نوعية وعلى الأخص ما يتعلق بشخص تمثله رواية أو قصة »[5]، لذلك فالشخصية آلية سردية محورية أساسية « فهي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي وهي عموده الفقري الذي يرتكز عليه»[6] العمل

---

[1]- سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2008، ص102.

[2]- موفق رياض مقدادي، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2012، ص192.

[3]- سهيل نجم، المرآة والخارطة دراسات في نظرية الأدب والنقد الأدبي، ط1، دار نينوى، سوريا، 2001، ص127.

[4]- الرواية، ص07.

[5]- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، د ط، دار محمد علي الجامي للنشر، صفاقس، تونس، ص19.

[6]- جميلة قيسمون، "الشخصية في قصة"، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة منتوري، قسنطية، الجزائر، ع6، 2006، ص195.

الروائي، لقد عدد لنا الروائي الكثير من الشخصيات في هذا النص، حيث وضع لكل منها مركزها وأهميتها في العملية السردية .

**أ- الشخصية الرئيسية :**

تتواجد هذه الشخصية المحورية بقوة، وقد تفاعلت في كل فصول الرواية ،" أبو الأرباح" الذي يقول عن نفسه: « اسمي أبو الأرباح هل كان أبي يتوقع لي كل هذه الأرباح التي ظفرت بها واللاحق لها .. بفضلهم فاختار لي هذا الاسم ، قد يكون الفضل لذكائي لا لتسمية اعتباطية، فليست الأسماء دالة دائما على مسمياتها »[1]، ثم واصل يقول: « .. كنت الشباب في عنفوانه حين ظفرت بالبكالوريا هناك »، نرى بأن هذه الشخصية قد ارتبطت بمسمياتها ومعانيها المادة من لفظة "ربح" المعنوية أو الروحية ، وقد كان يقول ذلك وهو يملك ثقة زائدة في نفسه، لذلك اختار الراوي هذه الشخصية لكي يبين لنا صورتها السلبية (الانتهازية) في أحداث الرواية .

يقول: « أكثر من عشر سنوات سمحت لي ببناء ثروة عرفت فيها السبل التي تيسر لي المغنم هنا وهناك ، كما عرفت السبيل التي أتحاشى عبرها أن أقوم بعمل واحد في "الخدمة الوطنية" »[2]، خلال هذه المدة بنا ثروته، وعرف السبل التي يتفادى بها أداء الخدمة الوطنية مما يرمز إلى عدم شعوره بالمسؤولية تجاه وطنه .

اتخذ "أبو الأرباح" وجها آخر حسب مصلحته الشخصية، مما جعله يتصف بصفات سلبية: « تأكد أبو الأرباح أن كل معاركه كانت عبر صور النفاق والاغتياب والنميمة والإيقاع، كما كان ذلك أسلوبه في الدرب الموصل إلى المغانم ».[3]

جمع أبو الأرباح كل صفات الحسد والأنانية الاغتياب والنميمة والإيقاع بين الناس، وكان هدفه الوحيد الربح وجمع المغانم.

[1]- الرواية، ص08.
[2]- الرواية، ص11.
[3]- الرواية، ص35.

**ب- الشخصيات الثانوية :**

إن الشخصيات الثانوية تقنية سردية مساعدة على ملئ الفراغ في الرواية والتفاعل بين أحداثها إذ تكون « الشخصيات باختلافها هي التي تولد الأحداث وهذه الأحداث تنتج من خلالها العلاقات بين الشخصيات فالفعل هو ما يمارسه أشخاص بإقامة علاقات في ما بينهم ينسجونها وتنموا بهم فتتشابك وتنعقد وفق منطق خاص به»[1]، فالفعل هو الذي تتبادل فيه الشخصيات الأدوار من حين لآخر حيث تتأثر في ما بينها .

❖ **عبد الله :**

قدمت هذه الشخصية صورة ايجابية للطالب الجزائري المحافظ على قيمه وتمسكه بالمبادئ، بعيدا عن أي إغراء يجعله يتعرض للذوبان أو الضياع.

عبد الله الذي كان مثالا للرجل الذي له غيرة على بلده، وتتجلى هذه الصفة في وقوفه بوجه الموظف مدافعا عن امرأة من بلده: «من يكون إلى جانبها في الغربة إن لم تكونوا أنتم... أنتم العون في حل المشاكل وسط محيط جليدي عنصري»[2].

قدم لنا السارد شخصية تحس بالمسؤولية تجاه الوطن والوطنية وبطريقة عفوية، عبد الله الشخصية المحافظة المتوازنة، كما ينتقد كل سلوك سيئ من زملائه الطلبة، حيث يرد على أبي الأرباح الذي يشتري الفرنك بالدينار: «هذا كثير ... هذا ظلم ونقص في الوطنية أيضا-اسمح لي»[3]، إضافة إلى ذلك نجد أن عبد الله كان مولعا بالدراسة زيادة على ذلك شعوره بحساسية تجاه فرنسا .

بالرغم من كون شخصية عبد الله مسالمة إلا أنها تتخذ وجها آخر «فجاء تعليق عبد الله ساخرا: فلنسبت إذن مع اليهود، ولنستقبل الأحد مع رواد الكنيسة، ثم نهض داعيا – في سخرية-

[1]- بمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1990، ص42.

[2]- الرواية، ص16.

[3]- الرواية، ص36.

إلى مزيد من الرقص حتى تقطع الأنفاس ...»[1] ،تجسدت نظرة عبد الله على أنها لا تخلوا من أنها انتهازية وساخرة وانهزامية في مواقفها .

### ❖ عيشة:

تدور شخصية عيشة في كونها نموذجا للفتاة المستلبة أو المستهترة، والتي كانت تأخذ صفات الانحلال الأخلاقي، وفقدانها لتوازنها جعلها تدخل في الشهوات الرخيصة وملذات باريس « عيشة ليست غريبة عن السهرات إذن في باريس وجدت ضالتها للإشباع حتى التخمة »[2].

تأثرت عيشة بعادات باريس حتى أنها وجدت غيرت اسمها «هنا في باريس أدعى هكذا، دون أن تنطق بكلمة ستيفان ... أرفقت ذلك بابتسامة واحدة ضليعة في تقمص الأدوار »[3]، نلاحظ أن المؤلف قد اختار اسم عيشة بمعنى العيش، فكان اسمها عاكسا لتصرفاتها ونمط تفكيرها، والذي أضافت له اسم ستيفان ليصبح "عيشة –ستيفان".

يسرد الراوي قائلا: «عيشة-ستيفان أبعدت إبداعا مذهلا بحركاتها الرشيقة ضاربة في كل الجهات الأربع بين الجميع ... تنتقل بين الرجال في خفة طروبة، فتمسك هذا من يده، وتدور حوله دورات وهو يرفع يده ممسكا يدها ليطوف بهما ... لكنها في إحدى اللحظات برز عليها ضيق شديد ... الجو العام الذي تنقصه أشياء ذات خصوصية، ربما نبهها إلى ذلك العربي الذي حضر مع مرافقة فرنسية وبدأ يترع عنها الثياب ليرقصها متعانقين »[4] ،هكذا برر لنا السارد موقفه من شخصية "عيشة-ستيفان" التي اتخذت الملذات لأول فرصة تأتيها دون تردد .

### ❖ زخروفة :

في سياق الكلام تأتي شخصية أخرى بمواصفات تشبه مواصفات عيشة التي وجدت هي الأخرى «الحرية الكاملة»[5] ويظهر ذلك من قولها: «هذه هي الحرية حقا هذه هي الديمقراطية،

---

[1]- الرواية، ص73.

[2]- الرواية، ص20.

[3]- الرواية، ص21.

[4]- الرواية، ص68-69.

[5]- جون ستورات ميل، عن الحرية، تر: هيثم الزبيدي، مرا: فادي حدادين، ط1، الآلية للنشر والتوزيع، عمـــان، الأردن، 2007، ص35.

تتعرى ولا أحد يتدخل في حياتك الشخصية »[1]، وفي سياق هذا الموقف تدخل في حوار مع امرأة فرنسية قائلة : «ما الذي أتى بك إلى هنا يا متخلفة ؟ اذهبي إل باديتك فقد خلقت للظلام ...لا للحرية »[2]، حيث كانت تعلق على كلام المرأة وهي تخاطب زوجها ممتعضة من المشاهد الإباحية.

تبقى شخصية "زخروفة" في هذا الحال، وهي متعلقة أشد التعلق بما تراه هي حرية بقولها : «أنا أحب القبل .. أبحث عنها بشكل شره ، حتى الكلاب، أنا جنس، أعشق العلاقات غير السوية أتعلق بالتافهين»[3].

وضع لنا السارد شخصية "زخروفة" التي تقدمها الرواية، فتاة منحطة بأخلاقها، رحلت في سبيل العلم، لكنها وجدت ضالتها، حيث تقول: «تحيا الصراحة الفرنسية تحيا الحرية الفرنسية وديمقراطية الفرنسيين»[4]، لقد شكلت "زخروفة" وجهين لعملة واحدة بين العواطف والسخرية، وبين الوفاء والخيانة ،بين الحب والكراهية وتغرق في حياة ساخرة .

تعيش الشخصيات في دوامة من الأحداث المتداخلة في زمن مليء بالثقافات المتعددة، حيث أن الشخصيات الحكائية البطلة قد احتوت الرواية بأكملها، وتلك الشخصيات هي "أبو الأرباح"، "عيشة-ستيفان"، "عبد الله"، "وزخورفة"، إلى جانب ذلك وردت شخصيات ثانوية أخرى "سلوى،ركبة، كريمة، وهرهارة"، كما نجد الشخصيات "أبو السعود والأخضر وسعيد"، كلها شخصيات باهتة لا نعرف سوى أحداث بسيطة عنها، ومن هذه الشخصيات بعض يقلد الآخر ويتصف بسلوكه، وبعض آخر محافظ على الهوية الوطنية واللغة والعادات و التقاليد إضافة لتعرضها للكثير من الاختبارات .

### 3- المكان:

يعد المكان وحدة مهمة للعمل الأدبي والفني إلى جانب تعلقه بالشخصيات والزمن بنوعيه، لذلك تشعب المصطلح في مفهومه، وقد اختلف الدارسون في تعريفه، وبات كل ما يتعلق به محل جدل عندهم ففي أدب الرحلة يظهر المكان مجرد خلفية ومكان هندسي تمارس فيه الشخصية

[1]- الرواية، ص40.
[2]- الرواية، ص41.
[3]- الرواية، ص46-47.
[4]- الرواية، ص47.

تحركها فيبدو «المكان كما لو كان خزانا حقيقا للأفكار والمشاعر والحدس حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر»[1]، لذلك تتجلى لدينا في رواية مأوى جان دولان أماكن عدة، فهناك أماكن مغلقة تتقيد بها الشخصية وأماكن مفتوحة تجعله يتحرك بحرية .

## أ- الأماكن المغلقة:

### ❖ السجن:

السجن هو أحد الأماكن التي اعتمدها الراوي، كمكان مغلق ومتعلق بأحداث الرواية، حيث ذهب بوصفه بدقة « انتصب السجن الرهيب "لاسانتي" المسود لونه كغراب لا يكف عن النعاق، يضغط في حناياه على الآهات ومختلف الحسرات والتأوهات، محشوا بعوالم عجيبة تختصر التعاسة في نقطة سوداء، يحكم قبضته الحديدية في رهبة حتى نسمة الهواء العابر ليعلن بتحد وصلابة في وجه البسطاء و المجرمين جميعا أنه عملاق السجون الفرنسة عموما ... فتكتئب النفوس لمظهره المتجهم العسكري ذو طبع بليد ، المعلن شرا مستطيرا في كل حجرة .. »[2].

وصف الراوي سجن "لاسانتي" وصفا دقيقا، حيث قدم لنا صوره السلبية من الداخل والخارج بألفاظ موحشة، الرهيب، صلابة، المسود، المكفهر ...كل هذه الألفاظ تدل على الصورة التي قدمها لنا السارد بصلابة و رهبة السجن.

يبرز السارد صورة عن حال المسجونين بقوله: « آهات الحسرة المنبعثة من زنزانات "لاسانتي" تشق الفضاء في كل اتجاه ... آهات تتقطع تارة، تأتي كليمة كأنها من تحت أنقاض تارة أخرى .... بات هناك حلف بين طلائع الظلام ... والجراحات الدامية والنفوس المعذبة ... وراء سور لاسانتي »[3]،قدم لنا السارد صورة بشعة عن هذا المكان حيث وصف بعض الحالات التي تعاني الآهات وكل معاني الحسرة كما وصفها.

---

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصيات)،ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغـــرب، 1990، ص31.

[2]- الرواية، ص65.

[3] - الرواية، ص49.

❖ المأوى :

انتقل الراوي إلى أحد الأماكن المتواجدة بالرواية، حيث تجرأ على وضعه عنوة للقـــارئ، لذلك حدد لنا نوعيته فهو « المكان الثابت في الرواية لا يبدو مولد الدلالات جديدة على مستوى أفضية السرد الأخرى، بحيث يتمركز فقط كمنطلق ومؤشر للإثارة على مستوى البنية التخييليـــة للبطل وأحيانا يغدوا إطارا ضيقا لأحداث ذات مكون سردي بسيط ... »[1].

وبهذا يتضح لنا أن هذا المكان مغلق وثابت، ويعد مؤشرا يؤثر على السارد من جهة وعلى البطل الروائي من جهة أخرى، إذن فهو مكون سردي بسيط .

يأخذنا السارد بمخيلته ليصف لنا المأوى «في مأوى جان دولان الجـــامعي ذي الطوابـــق الأربعة هانئا سعيدا مطمئنا، عدت إلى باريس الحلم بل مرتع الشباب .. والهوى .. نزلت بالمأوى هانئا سعيدا مطمئنا في الساعة الثانية بعد الزوال من يوم الاثنين، بداية الأسبوع، رحب بي المـــدير وهو يناولني مفتاح غرفتي متمنيا لي إقامة طيبة وتوفيقا في الدراسة ... »[2] .

وأعطى الراوي مؤشرا جديدا على هذا المكان بقوله : « ساد المأوى بعد ذلك صـــمت لم تكن تقطعه إلا دفقات الماء في دورات المياه في هذا الطابق أو في الذي يعلوه .. »[3]، وضـــح لنـــا الراوي أن المأوى مهما يعلو صخبه إلا أنه يسوده الصمت في بعض الأحيان .

هناك أماكن وظفها السارد لتكون بين التقيد و الحرية، فيظهر هذا الاختلاف في تجـــاذب الشخصيات لجمال المظهر أو قبحه « بين وكالة (رونو) لعرض السيارات البديعة وبين (لاسانتي) المتجهم الغامض تتمطى أيضا بنايتان ضخمتان عنيدتان، يستلقي في أحهدما مأوى جـــان دولان الجامعي»[4] .

[1] - عبد القادر بن سالم، السرد وامتداد الحكاية قراءة في نصوص جزائرية وعربية معاصرة، ط1، منشورات اتحاد الكتـــاب الجزائريين، الجزائر، 2009، ص40.

[2] - الرواية، ص6-7.

[3] - الرواية، ص27.

[4] - الرواية، ص 06.

نلاحظ المفارقة الواضحة بين السجن والوكالة و(مأوى جان دولان) إلا أن الواقع يحمل دلالة في الرواية، حيث ترمز إلى الصراع، والتجاذب والتنافر، فالمأوى يوحي إلى المصير الذي ينتظر الطلبة وراء سراب المظهر الخداع.

❖ **القاعة:**

يستظهر لنا السارد مكانا جديدا على الشخصيات، إلا أنه حاول جمعها قصدا كي يخلق الجو الذي « أضفى ذلك على القاعة الفسيحة جوا شاعريا حالما هيأ الأذهان والأنظار للخطوات اللاحقة، سرعان ما ضغط تقني الجهاز الموسيقي المتكامل على الأزرار، فصدحت الموسيقى هادئة **متموجة حالمة** »[1].

نرى بأن الراوي قد وضع شخصياته في مكان مغلق، لكنه يساعدها قصد الترفيه والمتعة والحيوية، فهذه العناصر الفعالة تجسدت على شكل «أشياء لا يمكن أن يفهمها القارئ ويجسدها إلا إذا وضعنا أمام ناظريه ديكور وتوابع العمل ولواحقه »[2]، إذن فالمكان يتجاوز كونه مجرد خلفية بل هو العنصر المحرك في العملية السردية .

**ب- الأماكن المفتوحة :**

مما لاشك فيه أن آلية المكان المفتوح مرتبطة بما يقدمه الراوي من أماكن مغلقة، ونعتبرهما عملة واحدة ذات وجهين، ولا يمكن فهم النوع الأول إلا من خلال مقابلته بالنوع الثاني ومميزاته « فالمكان مثلا الذي يفرضه الإنسان أن يبقى مغلقا بشكل دائم ، بل يتفرغ إلى أمكنة أخرى »[3]، وهذا من طبعه حب الحركة والانتقال من مكان لآخر.

❖ **الشوارع :**

يمثل هذا العنصر **مكانا مفتوحا**، وفي هذا النص يحتوي المكان حركية وتفاعل، « على ناصية من شارع (سان جاك) تحتل وكالة (رونو) للسيارات في الدائرة الرابعة عشر بباريس موقعا

[1] - الرواية، ص66.

[2] - ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس ، ط2 ، مكتبة الفكر الجامعي عويدات ، بيروت، باريس ، 1982، ص53.

[3] - النابلسي شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، لبنان، 1994، ص41.

متميزا يتيح لها أن تكون مطلة على مختلف الجهات بواجهاتها الزجاجية العملاقة ... تربض وراء الواجهات على أرضية زاهية ... كما تحتضن بكل واجهاتها شوق هابط أو صاعد بشارع (جان دولان) »[1]، قدم الراوي صورة جمالية للمكان وبوصف شبه دقيق ، ليتحول من مكان جامد إلى متغير ويشابه الحياة من جديد.

أحيانا يذهب السارد إلى ملئ فضائية المكان بالأشياء وأحيانا أخرى بالناس وأحيانا تجدها خالية ، ومرة تكون متراكمة ومتداخلة بين الأشياء والناس وحتى الجو الذي يصاحبها، عندما «وصل شارع (سان ميشال – St.Michel) كان إحساسه بالتعب شديدا، فرأى أن يستريح قليلا في مقهى يتناول كوب ماء وفنجان قهوة ... »[2]، ليقول في مقطع آخر أو جديد يحاول الهروب من تلك المشاكل التي تحدثها الشخصيات: « على الرصيف اعتادت سيدة فرنسية أن تدفع بطفلها على العربية اليدوية مختلسة النظر... »[3].

وهذا دليل على أن عدم الاستقرار في مكان واحد يدل على الحركة والتفاعل بين الشخصيات دون توقف.

❖ **المحطات :**

انتقل الراوي إلى (المحطة) حيث تعج بالمسافرين التي تخلق جوا حركيا وتفاعليا،ليكون «النزول هذا اليوم من محطة: شارل دوغول – إيتوال Charles de Gaulle Etoile إلى شاتلي، ثم محطة "الدونفير – روشرو" حيث النزول إلى (مأوى جان دولان) »[4]، فقد ذكر الراوي محطتين لتسهيل التنقل بين الأمكنة على الشخصيات.

سافر الراوي بشخصياته إلى محطات أخرى للتنفيس عنهم « أما (عبد الله) فقد هرع بين الكتل البشرية في مترو الخط المتجه إلى (بواسي سان ليجي Boissy-St-Leger) آملا في الهبوط

[1] - الرواية، ص05.
[2] - الرواية، ص18.
[3] - الرواية، ص51.
[4] - الرواية، ص15.

بمحطة (شاتلي الأسواق Chatelet-Les Halles) .. فحتى أبواب العربات تصدعت »[1]، يحيل ذلك إلى أن عبد الله وجد الصعوبة في التنقل بين الحشود للحصول على مكان شاغر في المترو.

في موضع آخر نجد (أبو الأرباح) و (عبد الله)، فقد « أخذ أبو الأرباح المترو السريع ، وعرج عبد الله يسارا يعبر النفق المؤدي إلى رصيف المترو العادي الذي كان عليه أن يقطع في المترو ، محطات (راسباي Raspail) و (فافين Vavin) و (مونبارناس Monparnasse-) و(سان بلاسيد St.Plasside) كي يترل في(سان سيلبيس St.Sulpice)» [2]، وبناءا على ما سبق نلاحظ أن الراوي قد أحسن اختياره الأماكن المفتوحة والتي منها (المحطات) باحثا عن مكان ملائم للهرب من الحشود.

## 4- الزمن :

يعتبر الزمن آلية من آليات السرد التي تتحكم في الجنس الروائي والذي يمثل ركيزة أو محورا للرواية « فالزمن مظهر وهمي يزمنن الأحياء والأشياء، فتتأثر بماضيه الوهمي، غير المرئي، غير المحسوس.. »[3]، و يتمظهر لنا هذا النوع في الرواية بقوة، والتي يسير على منوالها الشخصيات.

باعتبار الزمن عنصر مهم في البناء السردي للرواية فـ« من المعتذر أن نعثر على سرد خالٍ من الزمن، وإذ جاز لنا افتراض أن نفكر في زمن خال من السرد، فلا يمكن أن نلغي السرد، فالزمن هو الذي يوجد في السرد ، وليس السرد هو الذي يوجد في الزمن »[4]، إذا فالسرد هو المحرك الأساس للزمن والمكان والشخصيات والأحداث، إذ تهمنا آلية السرد في ذلك .

لقد اخترنا ملمحين أساسيين من المفارقات الزمنية، ليكون وجه السرد أساس بناء العملية السردية، فأولهما هو الاستباق والآخر هو الاسترجاع.

---

[1] - الرواية، ص17-18.

[2] - الرواية، ص38.

[3] - عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)،د ط،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت، 1988، ص172-173.

[4] - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص117.

### أ- الاسترجاع:

يعد عنصرا هاما في المفارقات الزمنية الذي تعني استعادة الأحداث التي وقعت بالماضي وتوظيفها في الحاضر، وهي « الارتداد إلى أحداث ماضية »[1]، ويقصد به الرجوع بالزمن إلى الوراء كقولـه: « عدت بعد سنوات كدت أحسبها دهرا بعد نفاذ صبري »[2]، لقد عبرت الشخصية عن سنوات مضت بعد عودته إلى مكانه المعهود حين استعمل لفظة (دهرا) التي تدل على الحقبة الزمنية بعيدة المدى.

أعطى السارد وجها جديدا لشخصياته **حين استخدامه** صيغة الماضي التي ترجع بنا إلى الوراء قليلا فيقول: « اسمي أبو الأرباح هل كان أبي يتوقع لي كل الأرباح التي ظفرت بها، واللاحق لها ... (بفضلهم) فاختار لي هذا الاسم »[3].

**نلاحظ** أن شخصية أبو الأرباح تساءل بـ: "هل كان أبي" وهنا دلت على زمن الماضي، **لأنه توقع** أن اسمه على مسمى ليضمن له الأرباح، ثم ليجيب عن سؤاله بنفسه (بثقـة) في قولـه: "(بفضلهم) فاختار لي هذا الاسم" أي أنه جسد توقعاته لأحداث مضت في مخيلته.

أحيانا يعود الراوي بإحدى شخصياته إلى الماضي **بقوله**: « فتذكر فورا ما خاطبه به أحدهم ذات يوم في صيغة نصح أبوي »[4]، نلاحظ أن الشخصية ارتدت إلى الماضي، وهذا ما نصنفه بالتذكر الذي يظهر في مخيلة السارد، ويقول في موضع آخر: "وقد فاتني القطار السريع ... دربك المفضل"، وظف السارد الحوار بصفة غير مباشرة حينما، استدركت الشخصية فوات الأوان بانطلاق القطار، ثم ليخاطب الشخصية المتواجدة على أنها **تفضل** التنقل في القطار.

### ب- الاستباق:

إن الإشارة إلى هذا العنصر الذي **يتعلق** بالسرد الذي يؤسس عليه عمله الأدبي، فهو إشارة إلى أحداث قبل وقوعها، قراءة مستقبلية (**تنبؤ**) لأن مخيلة الشخصية الحكائية هي « التطلع إلى

---

[1] - صالح مفقود، بنية الزمن في رواية شروقات في بحر الشمال، واسيني الأعرج، مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، ع4، 2005 ،ص 66.

[2] - الرواية ، ص06.

[3] - الرواية، ص08.

[4] - الرواية، ص25.

الأمام أو الإخبار القبلي، يروي السارد فيه مقطعا حكائيا يتضمن أحداثا لها مؤشرات مستقبلية »[1]، وقد عني بالتطلع إلى ما هو موجود مسبقا، يتدخل فيه الحاكي بإعطاء أحداث متوقعة في زمن بعيد أو قريب.

قصد السارد توظيف عنصر الاستباق رغبة منه في خلق التشويق لدى القارئ، وجعله يؤول الأحداث ويضع احتمالات لها، وذلك على لسان السارد، حيث « تعد من أبرز خصائص هذا النوع من السرد، ويأخذ عليه وأده العنصري المفاجأة والتشويق لدى القارئ لأنه علم بها مسبقا، ويتميز الاستباق بقلته في السرد مقارنة بالاسترجاع »[2]، وتتنوع أوجهه حسب الأحداث والوقائع الغير متوقعة بقوله: « غير أن (ابن السعود) ضاق بما حوله فخيل إليه بعد منتصف الليل أن مكالمة هاتفية في طريقها إليه لتخرجه من ضيقه .. »[3]، نرى بأن شخصية (ابن السعود) قد استعمل مخيلته في أن شيئا متوقعا بانتظاره، أو خبرا مفاجئا قد يأتي في أي لحظة.

يوحي لنا السارد ببعض من شخصياته وعلى لسانها يقول: « فليكن ... بعد ساعة ... ساعتين، نلتقي وسنفعل، معك حق وإذا لزم الأمر نعين لهم محامين، ألسنا إخوة في السراء والضراء ... ثم ينبغي أن الظلم كثر في هذا البلد ... قد تبرر بعض الشبهات »[4]، هكذا تتجلى السيرورة الزمنية وتوقعاتها حسب نظر الشخصية من خلال لفظتي "سنفعل، قد تبرر"، التي تدل لما قد يكون أو لا يكون، قد تنجح القضية أو العكس دون علم منه بما قد يحدث.

[1] - ميساء سليمان إبراهيم، البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ط1، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2012، ص230.

[2] - ميادة عبد الكريم العامري، البنية السردية في كتاب الأغاني للأصفهاني، مخطوط رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة ذي قار، العراق، 2011، ص54-55.

[3] - الرواية ، ص52.

[4] - الرواية ، ص140.

تميزت شخصية الرحالة بالعديد من المواصفات أثناء رحلتها وذلك بمرورها بعدة محطات من بداية الرحلة إلى نهايتها، وفي خضم هذه المدة واجهت العديد من الأحداث، مكنت الأنا من معرفة الآخر والإعجاب به إضافة إلى الشغف الكبير والدهشة من كل ما واجهه الشخصيات أثناء رحلتهم،كانت الرحلة بهدف الدراسة، لكن نرى اختلافا كبيرا بين الشخصيات، فنجد التطرف والمحافظة كما نجد الاعتدال وحتى الذوبان، إضافة إلى التأثر بالآخر ومحاكاته من قبل بعض الطلبة .

اعتمد السارد لغة بسيطة وأضفى الحوار كي يبرز تعدد الشخصيات في الرواية، حيث قسم الشخصيات إلى رئيسية أخرى ثانوية وكان لكل شخصية دور معين،كما تعددت الأمكنة في الرواية وتنوعت إلى أمكنة مغلقة (سجن، المأوى) وأخرى مفتوحة (المحطة، الشارع)، إضافة إلى سيرورة الزمن التي انحصرت بين الاسترجاع والاستباق وذلك ما تعمده السارد .

# خاتمة

رواية "مأوى جان دولان" أنموذج أدبي تطبيقي لفن الرحلة، ذلك أن الكاتب حقق جميع خصائص فن الرحلات فيها، و هو ما جعلنا نخلص إلى النتائج التالية في دراستها:

1. الرحلة حركة دائمة ومستمرّة وهي روح الحياة، ولها فائدة للفرد والمجتمع وتساعد على اكتساب معارف والتزود بالخبرات.
2. الرحلة انتقال وسفر من بلاد إلى الآخر حسب حاجة المرء ولهفة نفسه بالتنقل والحركة، فقد تكون الرحلة دينية أو اقتصادية، أو طلبا للعلم.
3. أسمى غايات الرحالة هو كشف طبائع النّاس وعاداتهم وتقاليدهم، و الاختلاط بالشعوب الأخرى ودراسة أخلاقهم والتحقق من دياناتهم.
4. قيمة الرحلة تزيد حسب حاجتنا لها في محاولتنا اكتشاف أسرار الأشياء والتعرف على مكنوناتها، وتكمن قيمتها الأدبية في كونها تعتمد على الكتابة القصصية ذات الطابع السّردي المشوّق الذي يحقق متعة ذهنية وروحية لدى القارئ.
5. اشتهر العديد من الرحالة بحسن وصفهم لما شاهدوه في رحلاتهم، مثل الرحالة ابن بطوطة وابن جبير وابن خلدون وابن حمادوش الجزائري، وغيرهم من الذين تناولوا طبائع البشر، وطافوا بعدة أماكن مقدمين وصفا دقيقا لكل ما شاهدوه.
6. تنوّعت دوافع الرّحلات وتعددت حسب مقاصدها فكانت منها دوافع تعليمية، سياسية، سياحية و ثقافية، اقتصادية و تجارية، و دوافع أخرى كاللجوء و البحث عن معيشة أفضل.
7. تميّزت الرحلات بعدّة خصائص وسمات جعلتها جنسا أدبيا منفردا تتمثل هذه الخصائص في ملاحظات الرحالة وإضفاء الطابع اللغوي، وعنصر الوصف الذي يعتمده الرحالة في تصوير كل ما ارتحلوا إليه .
8. يساهم أدب الرحلات في إكساب القارئ تجارب وخبرات تساعده على تخطي العقبات وتجاوز المعيقات.
9. معرفة الإنسان لذاته تزيد من قدرته على الاندماج مع الآخر والتعمّق في عاداته وتقاليده ودراسة طباعه، لأن الغوص في خبايا الآخر يحمل في طيّاته متعة وتشويقا.
10. يكشف أدب الرحلات عن تأثر الأنا بنمط ونسق معيشة الآخر .

11. أدب الرحلة جنس أدبي وتُعد كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية، والتصوير المباشر، مما يجعل قراءتها غنية، ممتعة ومسلية.
12. يفضح أدب الرحلات بعض من قيم الرحالة و ذلك من خلال تأثرهم بالآخر و محاكاته أو إتباع أهوائه و التنازل عن كل شيم العروبة و الإسلام.
13. تعتبر الرحلة الطلبة الجزائريين من الرحلات العلمية نحو فرنسا قصد طلب العلم و الإطلاع على ثقافة الآخر.
14. يعتمد أدب الرحلة على نقل الواقع الحقيقي، و سرد قصص عن الشخصيات بإضفائه ملامح فنية متمثلة في الحوار و المكان و الزمن... و ذلك لإثراء البناء الفني للرحلة.
15. تختلف الشخصيات حسب الدور الذي وضعه السارد، فنجد منها الشخصية الرئيسية التي أدت دورا بارزا في أحداث الرواية و تفاعلت في كل فصولها، إضافة إلى الشخصيات الثانوية كما نجد كذلك شخصيات باهتة لا نعرف سوى أحداث بسيطة عنها.
16. يعد المكان وحدة مهمة للعمل الأدبي و الفني حيث نجد أماكن مغلقة تتقيد بها الشخصية و أماكن مفتوحة تجعله يتحرك بحرية.
17. يعتبر الزمن آلية من آليات السرد التي تتحكم في الجنس الروائي، والذي يمثل ركيزة محورية للرواية، وقد انحصرت سيرورة الزمن في الرواية بين الاسترجاع و الاستباق.

# قـــائمة

# المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية حفص.

## - المصادر والمراجع

1- أبو حيان التوحيدي، السرد في التراث العربي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 2009.

2- أبو زكرياء يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة، الجزائر،2002.

3- أبو عبد الله محمد بن عمر، رحلة ابن رشيد السبتي، ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003.

4- أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، الرحلة في طلب الحديث، تح: نور الدين عتر، دط ، دار الكتب العلمية، 1975، م 1.

5- أحمد درويش، الإستشراق الفرنسي والأدب العربي، دط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ت.

6- أحمد رمضان محمد، الرحلة والرحالة المسلمون، د ط، دار البيان العربي، جدّة، السعودية، د ت.

7- أنطونيوس بطرس، الأدب، تعريفه – أنواعه – مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، 2005.

8- برنار فاليط، النص الروائي تقنيات ومناهج، تر: رشيد بن حدّو، د ط، المشروع القومي للترجمة، باريس، 1992

9- جون ستورات ميل، عن الحرية، تر: هيثم الزبيدي، مرا: فادي حدادين، ط1، الآلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،2007.

10- جيرالد برانس، قاموس السرديات، ط1، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، 2003.

11- حبيب مونسي، المشهد السردي في القرآن الكريم، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت.

12-الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ط1، مطابع عكاظ، الربـــاط، المغرب، 1990.

13-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصيات)،ط1، المركز الثقـــافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1990.

14-حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1993.

15-حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس مدريد، ط2، المنظمـــة العربيـــة للثقافة والعلوم، إسبانيا،1986.

16-حسين نصار، أدبيات أدب الرحلة، ط1، دار نور بار للطباعة، القاهرة، مصر، 1991.

17-حليفي شعيب، الرحلة في الأدب العربي، نقلا عن ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائـــب وعجائب الأسفار، ط2، بيروت، لبنان، 1992.

18-الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، تح: نور الدين عنتر، ط1، دمشق ،سوريا ، 1975.

19-رحلة ابن بطوطة، ابن بطوطة، ط1، دار صادر بيروت، لبنان، 2001.

20-ساندي سالم أبو سيف، الرواية العربية وإشكالية التصنيف، ط 01، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008.

21-سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2008.

22-سعيد بنكراد، السيميائيات السردية ، ط1، منشورات الزمن، الرباط، 2001.

23-سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات،ط1، دار رؤية للنشر والتوزيع، القـــاهرة، مصر، 2006.

24-سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، ط1، المركز الثقافي العربي، 1997.

25-سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، د ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2009.

26-سهيل نجم، المرآة والخارطة دراسات في نظرية الأدب والنقد الأدبي، ط1، دار نينـــوى، سوريا، 2001.

27-سيد عبد الماجد الغوري، رحلات العلامة أبو الحسن الندوي (مشاهدته – محاضـــراته – لقاءاته – انطباعاته)، ط1، دار بن كثير، بيروت، لبنان، 2004.

28-شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ط1 ، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

29-شكري عزيز ماهني: نظرية الأدب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان، 2005.

30-شوقي ضيف، الرحلات، ط4، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت).

31-الصادق قسومة، الرواية مقدماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث، ط 1، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000.

32-عبد الحليم الكردي، السرد ومناهج النقد الأدبي، د ط، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر،دت.

33-عبد الرحمن ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، (دط)، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر،2007.

34-عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار المكتب العلمية، بيروت، ط2، 2006.

35-عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط9، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006.

36-عبد الرحمن ناصر الملحوق، البوصلة الشخصية، اكتشف دورك في الحياة، د ط، إصدار موقع هدفي، الرياض، د ت.

37-عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري ، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، ابن حمادوش الجزائري "لسان المقال في البناء عن النسب والحسب والحال"، د ط، عاصمة الثقافة العربية ، الجزائر، 2007.

38-عبد القادر بن سالم، السرد وامتداد الحكاية قراءة في نصوص جزائرية وعربية معاصرة، ط1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2009.

39-عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة (الأبنية السردية والدلالة)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان،2013.

40-عبد الله إبراهيم، السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي، ط2، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، 2000.

41-عبد الله التجاني، رحلة التجاني، د ط، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981.

42-عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ط1، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 2009.

43-عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية و أدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007.

44-عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون،الكويت، 1988.

45-عز الدين مناصرة، الأجناس الأدبية، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2010.

46-علوي المداني عمر وآخرون، أدب الرحلة والتواصل الحضاري، سلسلة ندوات جامعة المولى إسماعيل، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، 1993.

47-علي إبراهيم كردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، ط1، منشورات الهيئة العامة السورية، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2013.

48-عمر بن قينة، مأوى جان دولان، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

49-عمرو عبد العلي علام، الأنا والآخر، ط1، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005.

50-عواطف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، د ط، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1429.

51-فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 2002.

52-لويس معلوف الياسوعي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1908.

53-ما لكوم براد بري، الرواية اليوم، تر: أحمد عمر شاهين، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997.

54-محمد إفرخاس، رحلات المغاربة إلى المشرق ودورها في تعزيز ثقافة التواصل، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري ،الإمارات العربية المتحدة، دبي، د ت.

55-محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1991.

56-مدحت عبد الجبار، أدب الرحلة رحلة الشام للمازني أنموذجا، ط1، دار النديم، القاهرة، مصر، 1994.

57-مسعود كواتب ومحمـــد الشريف سيدي موسى، أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007.

58-مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية والشرق العثماني، ط1، مؤسسـة الانتشـــار العـــربي، بيروت، لبنان، 2015.

59-موفق رياض مقدادي، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحـــديث، ط1، المجلـــس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2012.

60-ميساء سليمان إبراهيم، البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ط1، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2012.

61-ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس ، ط2 ، مكتبـــة الفكـــر الجامعي عويدات ، بيروت، باريس ، 1982.

62-النابلسي شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية، ط1، المؤسســـة العربيـــة للدراســـة والنشر، بيروت، لبنان، 1994.

63-ناصر عبد الرازق الموافي، أدب الرحلات عند العرب، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط1، الجامعة المصرية القاهرة، مصر، 1995.

64-نبيل حداد، تداخل الأنواع الأدبية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ج1.

65-نوال عبد الرحمن شوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربيـــة، دار المـــأمون للنشـــر والتوزيع، ط1، الأردن، 2007 .

66-يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ط1، دار الفارابي، بـــيروت، لبنان، 1990.

## - المجلات:

1-جميلة قيسمون، "الشخصية في القصة"، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ع 6، 2006.

2-حسين محمد فهيم "أدب الرحلات"، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 138، يناير1978.

3-خديجة بصالح، "تداخل الأجناس الأدبية من منظور النقد العربي القديم(القصة أنموذجا)"، مجلة إشكالا في اللغة والأدب،الجزائر، ع 10، 2016.

4-صالح مفقود، "بنية الزمن في رواية شرفات في بحر الشمال، واسيني الأعرج"، مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، ع 4، 2005.

5-عبد النبي ذاكر، "ملفوظية الرحلات العربية إلى الغرب"، مجلة علامات، المغرب، ع 20، 2003 .

6-ماجدة حمود، "إشكالية الأنا (نماذج روائية عربية)"، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 398، 2013.

7-موفق رياض مقدادي، "البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث"، مجلة عالم المعرفة، الكويت، ع 392، يناير 1978.

8-يمنى العبد، "في المنهج والمعنى الخاص للحكاية"، مجلة الموقف الأدبي،سوريا، ع 271، نوفمبر 1993.

## - الموسوعات:

1- محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة معجم بيبوجرافي، ط1، دوائر المعارف، القاهرة، 2007.

## - المعاجم والقواميس:

1- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، د ط، دار محمد علي الجامي للنشر، صفاقص، تونس، دت.

2- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر، 1960.

3- أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة، معجم مشاهير المغاربة، (د.ط)، منشورات جامعة الجزائر،الجزائر، 2007.

4- بطرس البستاني، قطر المحيط قاموس لغوي ميسر، ط2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1995.

5- جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تح: نخبة من الأساتذة، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر،دت، ج1.

## - الأطروحات والرسائل الجامعية:

1-ميادة عبد الكريم العامري، البنية السردية في كتاب الأغاني للأصفهاني، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة ذي قار، العراق، كلية التربية، 2011.

# فهرس

| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| شكر وعرفان | |
| إهداء | |
| مقدمة | أ-ج |
| **مدخل: أدب الرحلة عند العرب** | 05-22 |
| تمهيـــــــد | 05 |
| 1-مفهوم الرحلة ..... | 05 |
| 2-قيمة الرحلة علميا وأدبيا ..... | 07 |
| 3- الرحلة في القرآن الكريم و السنة النبوية..... | 09 |
| 4- أشهر الرحلات العربية ..... | 13 |
| 5-الرحلة عند العرب قديما ..... | 14 |
| 6-أشهر الرّحالة العرب ..... | 14 |
| ❖ رحلة ابن جبير: (ت 540-626) ..... | 15 |
| ❖ رحلة ابن بطوطة: (703هـ ، 776هـ) ..... | 18 |
| **الفصل الأول: أدب الرحلة في المغرب** | 23-55 |
| **I- فن الرحلة عند المغاربة** ..... | 24 |
| 1-أنواع الرحلات ..... | 24 |
| 2-خصائص الرحلات المغربية ..... | 28 |
| 3-أبرز المجالات التي وصفها الرحالة ..... | 29 |
| 4-طبيعة الرحلات..... | 30 |

5-الخصائص الشكلية للرحلات ..... 31
6-أهم الرحالة المغاربة ومناهجهم ..... 33
6-1-ابن حمادوش عبد الرزاق (1205هـ - 1791م) ..... 33
6-2-رحلة ابن خلدون ..... 36
6-3-ابن رُشَيْد: (657هـ - 1321م) ..... 38
**II- الرحلة في العصر الحديث** ..... 41
1-علاقة أدب الرحلة بالرواية ..... 42
2-الرحلة بوصفها جنسا أدبيا ..... 44
3-أدبية الرحلة ..... 47
**III- تداخل الأجناس الأدبية في الرواية الجزائرية المعاصرة...** 48
1-تشاكل الأجناس ..... 49
2-الرحلة خطابا أدبيًا ..... 51
3-الرحلة والسرد ..... 52
4-أنواع الرحالة ..... 54
**الفصل الثاني: ملامح أدب الرحلة في رواية مأوى جان دولان** 56-103
**مقدمة** 57
**I- الملامح العامة** ..... 58
1-المعرفة ..... 58
2-الاختبار ..... 65
3-الوصف ..... 71
4-المتعة ..... 74
**II- رحلة الأنا إلى أوربا ( فرنسا )** ..... 76

1- صورة الآخر في الرواية ..... 76
2- إعجاب الأنا بالآخر ..... 78
**III- الملامح الفنية** ..... 86
1- لغة الحوار ..... 88
2- الشخصيات الروائية ..... 91
3- المكان ..... 95
4- الزمن ..... 100
خاتمة 104
**المصادر والمراجع** ..... 107
**فهرس المحتويات** ..... 115